٥١

تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً) السنة العاشرة ـ ١٥ ذو الحجة / ١٤٢٦ هـ

الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

إقرأ في هذا العدد...

الحج بين توحيد الشعائر ووحدة المشاعر ..... أسرة التحرير

بشرى المشتاق بصحة حديث الافتراق ..... فضيلة الشيخ سليم بن عيد الهلالي

رسالة إلى الدعاة ..... الإمام محمد بن صالح العثيمين

مِن مغالطات دعاة (الفكر التكفيري) ..... فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي

الإذاعة في وجوب اتباع السنة والجماعة ..... فضيلة الشيخ محمد بن موسى آل نصر

مَن هو مؤلف (عون المعبود)؟ ..... فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

دعوة التوحيد ..... الشيخ العلامة أحمد بن حجر آل بوطامي

فتاوى (مركز الإمام الألباني)

بين المخالفين والخاذلين! ..... أسرة التحرير

الأصالة
أشعر أنها اسمٌ على
مسمّى إن شاء الله
الشيخ العلامة
محمد ناصر الدين الألباني
رحمه الله
مجموع فتاويه
(رقم ٦٣١٨)

الناشر
مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية
تلفون : ٣٦١١٢٣٢ - ٥ - ٠٠٩٦٢

رسالة إسلامية منهجية جامعة

الأصالة ٥١

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

السنة العاشرة تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً) الناشر (مركز الإمام الألباني للدرسات المنهجية والأبحاث العلمية) ١٥/ذو القعدة ١٤٢٦هـ

أسرة التحرير

رئيس التحرير:

الشيخ/ د. محمد بن موسى آل نصر

مدير التحرير:

الشيخ/ علي بن حسن الحلبي الأثري

الأعضاء:

الشيخ/ سليم بن عيد الهلالي

الشيخ/ مشهور بن حسن آل سلمان

عنوان المراسلة

الأردن

ص.ب (٢٦٩٩) الرمز البريدي (١٣٧١٣).

هاتف: ٣٦١١٢٣٢ - ٥ - ٠٠٩٦٢

فاكس: ٣٦١٠٣٠٦ - ٥ - ٠٠٩٦٢

موقعنا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):

www.albanicenter.net

البريد الإلكتروني:

albani1421@hotmail.com

ترسل المقالات والاشتراكات باسم رئيس تحرير مجلة الأصالة

وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات

إخواننا القراء

نرحب بكل مقال علمي رصين، ونرغب في كل نقد هادف بنّاء

في (الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داعٍ على الحق . .

- وفقنا الله وإياكم لكل خير -.

ثمن النسخة

الأردن: (دينار)، الإمارات المتحدة: (١٠ دراهم)، البحرين: (دينار)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت: (٨٠٠فلس)، أوروبا (٤دولارات)، أمريكا (٥دولارات).

الاشتراكات

- المملكة العربية السعودية (١٠٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٣٠ دولاراً).
- أوروبا (٣٥ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

صاحب الامتياز والمالك: (شركة الأصالة للاستشارات الثقافية)

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (١٣٢٨/٣/٤)- رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٢٠٣/٢٠٠٢/د).

إنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنستَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ .

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

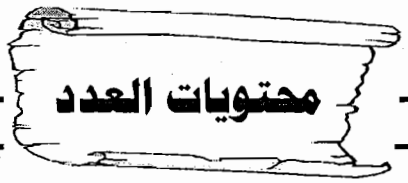

محتويات العدد

. **فاتحة القول:** الحج بين توحيد الشعائر ووحدة المشاعر

أسرة التحرير ٥

. **تأملات قرآنية:** ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾

الشيخ هشام بن فهمي العارف ٧

. **الكلم الطيب:** بشرى المشتاق بصحة حديث الافتراق

فضيلة الشيخ سليم بن عيد الهلالي ١٠

. **فقه الدعوة:** رسالة إلى الدعاة (٢)

الشيخ الإمام محمد بن صالح العثيمين ١٧

. **ركن الردود والتعقبات (١):** من مغالطات دعاة (الفكر التكفيري)

فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي ٢١

. **(٢):** وقفة أخرى مع اليماني فيما نسبه للدعوة السلفية)

محمد بن يوسف خشان ٢٥

. **(٣):** مقال ... ورد

عمر بن بسام الصادق ٣٣

. **مباحث عقدية:** دعوة التوحيد

الشيخ العلامة أحمد بن حجر آل بوطامي ٣٩

• **قضايا منهجية:** الإذاعة في وجوب اتباع السنة والجماعة

فضيلة الشيخ محمد بن موسى آل نصر ٤٤

• **من دلائل النبوة:** أحاديث ، ورجال (٣)

الشيخ أكرم بن محمد زيادة ٤٩

• **كتب ومؤلفون:** مَن هو مؤلف (عون المعبود)؟

فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان ٥٥

• **مسائل فقهية:** جولات مع فقه أئمة المساجد (٣)

الشيخ خالد مأمون آل محسوبي ٦٦

• **ركن الفتاوى:**

لجنة الفتوى في (مركز الإمام الألباني) ٧١

• **ركن المرأة المسلمة :** الغيرة (٢)

أم عبدالله نجلاء الصالح ٧٧

• **مسك الختام:** بين المخالفين والخاذلين!

أسرة التحرير ٨٣

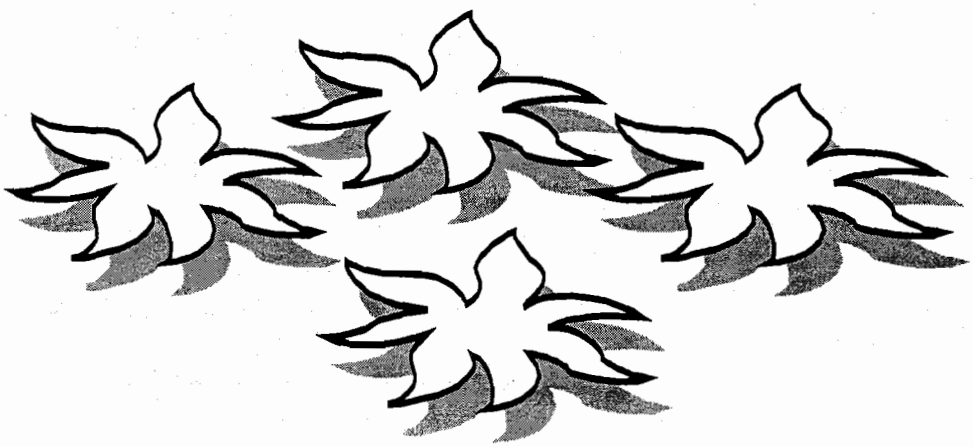

الحَجُّ

بين توحيد الشعائر ووحدة المشاعر

• بقلم: أسرة التحرير

الحجُّ عبادة عظيمةٌ، وشعيرةٌ كبيرةٌ، شرعها الله -تعالى- لتوحيد ذاته، ووحدة عباده مِن يوم أن نادى خليلهُ إبراهيم -عليه السلام- بالناس بالحجِّ بأمرٍ مِن ربِّه؛ حيث قال -تعالى-: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ [الحج:٢٧-٢٨] ، وقال -تعالى-: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥] .

فاستجاب إبراهيمُ أمر ربِّه فنادى بالنَّاس، فَلَبَّوْا نداء خليله بأمر ربه لهم، فجاءوا شُعْثاً غُبْراً بلباس واحد، وقُصْدٍ واحد، ونداءٍ واحد، وشعارٍ واحد: «لبّيك اللهم لبيك، لبيّك لا شريك لك، لبّيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، إعلانٌ بالتّوحيد، وبراءةٌ مِن الشرك هما

أساس قبول العمل الصالح، لا يتخلَّف عن هذا الهتاف أحدٌ ممن أراد هذا البيت بحجّ أو عُمرة مهما سما وعلا، لا يُستثنى منه نسِيبٌ، أو وضيعٌ، أو أبيضُ، أو أسودُ، أو غنيٌّ، أو فقيرٌ، أو سيِّد، أو عبد، أو عربي، أو عجمي، فكان توحيد الأمّة الإسلاميّة -ابتداءً- على التَّوحيد الخالص المُتَمَثِّل بالتّلبية، وقبل ذلك لباسُ الإحرام الأبيض النَّاصع -أحبُّ اللّباس إلى رسول الله-، الدّال على الطُّهر، والنَّقاء؛ طُهر الظاهر من الدَّرَن، وطُهر الباطن مِن الشِّرك والمعاصي والذُّنوب، يجتمع النَّاس على الطُّهرين الأمَيْنِ -ظاهراً وباطناً-.

فترى الملايين مِن النَّاس قد اجتمعوا في صعيدٍ واحدٍ عشيّةَ عرفة وأيام منى بلباس واحد أبيض -على اختلاف ألسنتهم، وألوانهم، وبلدانهم، وأنسابهم-؛ لتكون ثمّة آيةٌ فوق آية . . .

جميعُهم يقصدون بيتاً واحداً، لربٍّ واحد، لغايةٍ واحدةٍ، وبقصدٍ واحدٍ، وكلّ العبادات التي شرعها الله غايتها توحيد الكلمة على كلمة التَّوحيد شعاراً ودثاراً، علماً وعملاً ومنسكاً؛ ليرجعوا -جميعاً- بإذن ربِّهم- مغفورةً ذنوبُهم، ممحُوَّةً سيِّئاتُهم؛ لتكون حياتُهم -بعد- صفحةً بيضاء في عباداتهم لربِّهم، وأخلاقهم مع إخوانهم، ومعاملاتهم مع الناس، وسلوكهم في أنفسهم وأمتهم؛ تكون خيراً ممّا مضى، وأفضلَ ما يُرتجى . . .

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴾

• بقلم: الشيخ أبي عبدالرحمن هشام العارف

مِن الزينة التي يُدركها الإنسان ببصره وهي مِن خلق الله -جل وعلا- قوله -تعالى- في (سورة ق): ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴾ [ق:٦]، وقال في (سورة الحجر): ﴿ وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [الحجر: ١٦] ، فصرح الله -تعالى- في هاتين الآيتين أنه بنى السماء وزيَّنها ، وأنه -سبحانه- زيَّنها للناظرين، وبيَّن الله -تعالى- في مواضع أخر أنه -سبحانه- زيَّن السماء الدنيا بالنجوم فقال في (سورة الصافات) : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات:٦]، وتصير الزينة في النجوم حين تضيء فوصفها الله -تعالى- بقوله في (سورة فصلت): ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ [فصلت:١٢]. ليدرك الناظر المؤمن أن وراء هذا الخلق: إلهاً قديراً قوياً عليماً ، وهي من أهم خصائص توحيد الألوهية والأسماء والصفات .

واللّباس على سبيل المثال زينة ، والعريّ ضلال وخزي وشيْنة ، لذلك أنزل الله -تعالى- أمراً ردّ فيه على من حرّم اللباس بقوله في (سورة الأعراف): ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ **الآية** [الأعراف:٣١]، وقال : ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ الآية [الأعراف: ٣٢]، فالزينة اللباس من

الثياب، وهذا أمر بالاستتار، لأن المرأة كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما- فيما أخرجه مسلم في «صحيحه» (٨/ ٢٤٣-٢٤٤ - نووي) كانت تطوف بالبيت وهي عريانة، فتقول: مَن يعيرني تطوافاً ؟ تجعله على فرجها، وتقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله

فما بدا منه فلا أحله

والزينة -كما في التهذيب- اسم جامع لكل شيء يتزين به ، ويوم الزينة : العيد ، وقال -تعالى- في (سورة القصص): ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ [القصص: ٧٩]، قيل : كان عليهم وعلى خيلهم الديباج الأحمر .

والنساء، والمال، والبنون، والذهب، والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث، كلها زينة، والأرض تتزين -وزينتها كما هو معلوم فانية- قال -تعالى- في (سورة يونس): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ الآية [يونس: ٢٤]، قال ابن كثير -رحمه الله- أي حسنت بما خرج في رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان .

وهذه الزينة المخلوقة المعروضة الظاهرة في أرجاء الأرض، أو المصنوعة بأيدي الناس هي من متاع الحياة الدنيا، والناس في الابتلاء -لحكمة الله- ينقسمون إلى قسمين : منهم من يتعلق بالزينة وهي من متاع الحياة الدنيا، ومنهم من يتعلق بخالقها -سبحانه وتعالى- .

لذلك حذر اللهُ -تعالى- ورهَّب من تعلق الإنسان بمتاع الحياة الدنيا وزينتها فقال في (سورة القصص): ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص] ، وقال في (سورة الحديد): ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ الآية [الحديد: ٢٠]، فعلى المسلم أن يكون حذراً من زينة الحياة الدنيا لأنها مدخل للشيطان قال -تعالى- في (سورة الحجر): ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٣٩] ، على اعتبار أن الأرض هي محل الحياة الدنيا .

فالله -تعالى- جعل (كوناً) ما على الأرض زينة لها، لماذا؟

الجواب: من أجل أن يكون الابتلاء في الحياة الدنيا وزينتها، فمن تعلق بربه -عز وجل- وفعل ما أراده الله (ديناً وشرعاً) وتنافس مع إخوانه في أداء ما أمره الله، واتبع نبيه وفق منهج السلف الصالح فقد أحسن عملاً، قال -تعالى- في (سورة الكهف): ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧]، ومن خالف ربه -عز وجل- (ديناً وشرعاً) تعلق بزينة الشيطان قال -تعالى- في (سورة النمل): ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: ٢٤] ومن زيَّن له الشيطان فقد أغواه ومن أغواه فقد ساء عمله.

ولقد نسب الله -تعالى- التزيين لنفسه في الكتاب العزيز في موضع واحد فأجمله لأهميته فقال في (سورة الحجرات) بعد أن بيَّن مسائل الإيمان: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ الآية [الحجرات: ٧]، ونسب التزيين للشيطان في عدة مواضع وذلك لاستحواذ الشيطان عليهم بعد أن تركوا مسائل الإيمان جحوداً، وبدعة إختياراً بمحض إراداتهم بعد أن جاءهم الحق.

قال -تعالى- في (سورة الأنعام): ﴿ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٣]، فعاقبهم الله لقساوة قلوبهم وصدهم عن السبيل فكان حالهم في العقاب كحال فرعون قال في (سورة غافر): ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [غافر: ٣٧]، وقال في (سورة فصلت): ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾. الآية [فصلت: ٢٥].

فإياكم وسوء الأعمال من جحود أو بدع قال -تعالى- في (سورة محمد): ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴾ [محمد: ١٤]، وقال في سورة فاطر: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ [فاطر: ٨].

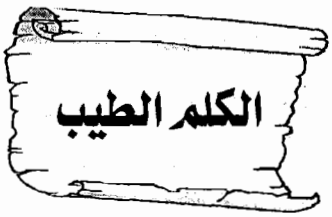

بشرى المشتاق
بصحة حديث الافتراق

• بقلم: فضيلة الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

وقفت بوساطة بعض أصحابي مِن طلاب العلم على كلمة حول زيارة سلمان العودة إلى بلاد اليمن السعيد بدعوة من حزب الإصلاح الإخواني وجمعيته.

وقد تأملت مجموع كلامه في شتى محاضراته؛ فرأيته كحاطب ليل، يخبط خبط عشواء على طريقة المنهج البنّائي: الذي يحاول إرضاء جميع الأطراف، والعمل تحت جميع الرايات، ويزعم أنه ما أراد إلا إحساناً وتوفيقاً.

والشيء من معدنه لا يستغرب؛ فقد نشأ العودة ورفقاؤه (دعاة الصحوة) في محاضن الإخوانية منذ بواكير الصبا، لكن في فترة التسعينات من القرن الماضي لبسوا لبوس الدعوة السلفية مخادعة لدعاتها، واتقاء لبأسها، الذي كشف عوار هذه التنظيمات الحزبية التي ما زادت المسلمين إلا خبالاً، وأوضعت خلالهم الفتنة في العقيدة والمنهج والدعوة والتزكية.

وكلامه -ذاك- يحتاجُ الكثيرَ مِن النقد والنظر؛ ولكن لي -هنا- وقفة مع قوله: «إن حديث الفرقة الناجية مختلف في ثبوته، ولا يعد أصلاً من أصول الدين، ولم يحاول أحد من المعتبرين تحديد هذه الفرق فضلاً عن كون الحديث جاء أساساً في سياق التحذير من الاختلافات، في حين يريد البعض أن يجعل منه قاعدة لصناعة الاختلافات ويضع هذا الحديث أصلاً، ويضع نفسه حكماً ويحكم لنفسه بالخيرية والهداية، وعلى غيره بالتكفير والتفسيق والتبديع، وهذا نوع من الكبر والإعجاب بالنفس».

١- قوله: «**إن حديث الفرقة الناجية مختلف في ثبوته**».

الجواب عليه من وجوه خمسة:

أ- المراد بحديث الفرقة الناجية: إخبار الرسول ﷺ في جملة مستفيضة من أحاديثه: أن أهل الكتابين من قبلنا اختلفوا على إحدى، أو اثنتين وسبعين فرقة، وأن هذه الأمة ستختلف اتباعاً لسننهم في الافتراق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.

ب- هذا الحديث مستفيض، فقد ورد من حديث أبي هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان، وأنس بن مالك، وعوف بن مالك الأشجعي، وأبي أمامة الباهلي، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن عوف المزني، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، وأبي الدرداء، وواثلة بن الأسقع -رضي الله عنهم-.

ورواية هذا الجمع الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب، ترقى بالحديث إلى حد التواتر، أو ما هو قريب منه.

ت- أن كثيراً من هذه الأحاديث أسانيدها نظيفة؛ كحديث أبي هريرة، ومعاوية، وعوف ابن مالك، وأبي أمامة وغيرهم.

ث- وعلى فرض أن أسانيد هذه الأحاديث في مفرداتها ضعف، فلا يشك من له أدنى خبرة بالصناعة الحديثية أن ضعفها ليس شديداً، وهي بذلك ترتقي إلى درجة الصحة والثبوت، والاحتجاج.

ج- أن أئمة الصنعة الحديثية حكموا على حديث الفرقة الناجية بالثبوت ولم يختلفوا في تصحيحه، ودونك سرد بأسمائهم ومواطن قولهم:

أولاً: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

قال الترمذي (٢٦٤٠): «حديث حسن صحيح».

وقال الحاكم (١/ ١٢٨): «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.

ثانياً: حديث معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه-.

قال الحاكم (١/ ١٢٨): «هذه أسانيد تقوم بها الحجة في تصحيح هذا الحديث»، ووافقه الذهبي.

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص ٦٣): «حسن».

ثالثاً: قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٥): «الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد».

رابعاً: قال الشاطبي في «الاعتصام» (٢/ ١٨٦): «صح من حديث أبي هريرة».

خامساً: قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٨٢): «كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن من طرق يشد بعضها بعضاً: أن اليهود افترقت...» الحديث.

وقال (٤/ ٥٧٤): «كما جاء في الحديث المروي من طرق».

سادساً: وممن نص على ثبوته عبد القاهر البغدادي في «الفرق بين الفرق» (ص ٧) فقال: «للحديث الوارد على افتراق الأمة أسانيد كثيرة».

سابعاً: محدث العصر شيخنا الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٠٤و٢٠٥) عقد بحثاً حديثياً نفيساً وفند شبهات المخالفين.

كل هؤلاء الأعلام الفحول جزموا بصحة الحديث وثبوته، خلافاً لبعض المعاصرين الذين تكلموا في غير فنهم؛ فأتوا بالعجائب.

ويمكن الجزم بتلقي أئمة الحديث لهذا الحديث بالقبول بطريقتين.

الأولى: كثرة أصحاب السنن، والمسانيد، والمعاجم، وكتب التراجم، والعقائد الذين رووه دون إنكار لمتنه.

الثانية: كثرة الكتب التي صنفت في «الملل والنحل» مثل «الملل والنحل» للشهرستاني، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي، و«الفِصَل في الأهواء والملل والنِّحَل» لابن حزم، و«مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري -وغيرهم-.

٢- قوله: **«وهو في حالة ثبوته لا يعد أصلاً من أصول الدين»**.

والجواب عليه من وجوه ثلاثة:

أ- أن قوله: (في حالة ثبوته) عبارة سياسية مطاطة؛ ليحفظ على نفسه خط الرجعة عندما يصادم بهذه النقول عن الحشود من أهل العلم الذين صححوا الحديث وثبتوه وتلقوه بالقبول!!

ب- أن المناورة السياسية لا تصلح للقضايا العلمية؛ فالعلم فضاح، «ومن تشبع بما لم يعط فهو كلابس ثوبي زورٍ»، و«من ادعى ما ليس فيه كشفته شواهد الامتحان».

ت: قوله:«لا يعد أصلاً من أصول الدين».

أولاً: هذه دعوى عريضة ليس لها حد يميّز الأصل مِن الفرع، وما الفرق بينهما؟!

ثانياً: أن الحديث ورد ناهياً محذراً عن اتباع سنن اليهود والنصارى في الاختلاف والافتراق ... ألا يعد ذلك أصلاً من أصول الدين؟! ... أليس جمع الكلمة وتوحيد الأمة من مقاصد بعث الله- تبارك وتعالى- المرسلين، والله يقول: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢]، وقوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢]، ويقول -جل وعلا-: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢].

ثالثاً: إن هذا الحديث يتكلم عن منهج الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، والجماعة المحفوظة التي لا يضرها من كذبها، ولا من خالفها، ولا من خذلها، ولا من ناوأها، وهي

أهل السنة والجماعة وأتباع السلف الصالح -بإجماع علماء الإسلام-؛ أليست مسألة المنهج هذه إذن من أصول الدين؟

رابعاً: يشير بقوله هذا إلى بدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب، وهي باطلة وعاطلة؛ كما بسطت ذلك في كتابي «دلائل الصواب في إبطال تقسيم الدين إلى قشر ولباب».

٣- قوله: «**ولم يحاول أحد من العلماء المعتبرين تحديد هذه الفرق...**».

والجواب عليه من وجهين:

أ- أن كثيراً من العلماء الذين صنفوا في الفرق والملل والنحل؛ كالشهرستاني، والبغدادي، والأشعري، وابن حزم؛ حدَّدُوا هذه الفرق أصولاً وفروعاً ومذاهب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٤٦): «وأما تعيين الفرق فقد صنف الناس فيهم مصنفات، وذكروهم في المقالات...».

ب- أن العلماء حددوا أصول الفرق.

وأقدم من تكلم في تعيين الفرق الضالة وتقسيمها يوسف بن أسباط، ثم عبد الله بن المبارك؛ كما نص على ذلك شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٥٠)، فقد ذهبا إلى أن أصول البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة.

روى ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ٣٧٧) عن يوسف بن أسباط؛ قال: أصل البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، ثم تشعبت كل فرقة ثماني عشرة طائفة فتلك اثنتان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون: الجماعة، التي قال رسول الله ﷺ: «إنها الناجية».

وروى -أيضًا- في الكتاب نفسه (١/ ٣٧٩) عن ابن المبارك أنه سئل: على كم افترقت هذه الأمة؟

فقال الأصل أربع فرق: هم الشيعة، والحرورية، والقدرية، والمرجئة، فاقترفت الشيعة على اثنتين وعشرين فرقة، وافترقت الحرورية على إحدى وعشرين فرقة، وافترقت القدرية على ست عشرة فرقة، وافترقت المرجئة على ثلاث عشرة فرقة، فقال السائل: لم أسمعك تذكر الجهمية؟! قال: إنما سألتني عن فرق المسلمين».

وقد ذهب إلى هذا التقسيم البربهاري في «شرح السنة» (ص ٤٦)، والطرطوشي في «البدع والحوادث» (ص ٩٧).

وذهب ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص ٢٥) إلى أن أصول فرق أهل البدع ستة، وهي: الحرورية، والقدرية، والجهمية، والمرجئة، والرافضة، والجبرية، وقد انقسمت كل فرقة منها إلى اثنتي عشرة فرقة؛ فصارت اثنتين وسبعين فرقة».

وكذلك يميل الشاطبي في «الاعتصام» (٢/ ٢٠٦) إلى تقسيم أصول الفرق إلى سبعة:

المعتزلة، والشيعة، والخوارج، والمرجئة، والبخارية، والجبرية، والمشبهة»

وانتصر لهذا القول السفاريني في «لوامع الأنوار البهية» (١/ ٩٢).

والذي يهمني تقريره في هذه المسألة -ثمّةَ-:

١- أن العلماء متفقون على وجود فرق الأمة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ، وهذا تصحيح صريح لحديث الافتراق.

٢- أن اختلافهم في تعيين أصول فرق البدع ليس لاختلافهم في ثبوت الحديث، وإنما لاختلافهم في بعض هذه الفرق هل هي من الإسلام أم لا؟ كاختلافهم في الجهمية، فتدبر هذا المقام، ولا تكن ممن ضلت به الأفهام.

٤- قوله: «**فضلاً عن كون الحديث جاء أساساً في سياق التحذير من الاختلافات**».

والجواب عليه من وجهين:

أ- إذا كان الحديث كما وصفت وهو كذلك؛ فإن كثيرًا من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، تحذر من الاختلافات؛ فهي على ذلك -بعمومها- شواهد قوية، وأدلة جلية، على صحة حديث الفرقة الناجية متناً.

ب- الحديث الذي يحذر من الخلافات يجب أن يشاع بين الناس، ويذاع في مجالسهم، لا أن يشكك فيه، وإلا نكون داعين إلى خلاف مقصوده من: إقرار الخلاف والدعوة إلى قبول الاختلاف، ورب العزة يقول: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود:١١٨-١١٩]، فأهل الرحمة لا يختلفون ولا يقرون الاختلاف، ولا يروِّجون للخلاف، بل الذي يفعل ذلك هم أهل العذاب -والعياذ بالله-.

٥- قوله: «**في حين يريد البعض أن يجعل منه قاعدة لصناعة الاختلافات**».

والجواب عليه من وجوه ثلاثة:

أ- أن هذا التعميم جزاف، وبيع غرر في سوق غير قائمة، وإن كانت موجودة فهي كاسدة!

ب- أن الذي يصنع الخلافات هم الذين فارقوا الفرقة الناجية، ورضوا بالمناهج المبتدعة؛ لقصر سبلها، وسرعة جنايتها؛ لكنها نعمت المرضعة وبئست الفاطمة.

ت- أن الخلاف والاختلاف قدر كوني، لكننا أمرنا باجتثاثه بسنن الله الشرعية: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

٦- قوله: «**ويضع هذا الحديث أصلاً...**».

والجواب عليه من وجهين:

أ- أن الحديث أصل في المنهج السني، والمعتقد السلفي، الذي لا يزيغ عنه إلا هالك، ولا يتنكبه إلا ضال.

ب- إن اهتمام العلماء قديماً وحديثاً في تخريجه، وتصحيحه، والذب عنه، وتعيين مراد رسول الله ﷺ فيه، يعد أصلاً أصيلاً لن نبتغي عنه تحويلاً، أو نريد سواه بديلاً.

٧- قوله: «**ويضع نفسه حكماً، ويحكم لنفسه بالخيرية والهداية**».

والجواب من وجهين:

أ- أن النبي ﷺ هو الذي جعله حكماً على ضلال الفرق، ومعياراً لمنهج الفرقة الناجية.

ب- أن الخيرية والهداية فيما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه؛ كما في حديث خيريّة القرون -المتواتر-: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...»، وحديث الفرقة الناجية يتفق معه حذو القذة بالقذة.

٨- قوله: «**وعلى غيره بالتكفير والتفسيق والتبديع**».

والجواب عليه من وجوه ثلاثة:

أ- كون هذه الفرق من الأمة الإسلامية؛ كما في قوله -صلى الله عليه وسلم-: «وتفترق أمتي ...» فهذا صريح أن هذه الفرق من المسلمين، والمسلم لا يُكَفَّرُ ولا يُفَسَّقُ ولا يُبَدَّعُ إلا بدليل قاطع، ومِن جهة خاصّةِ أهل العلم، وبعد وجود الشروط وانتفاء الموانع...

ب- كونها في النار لا يلزم منه الخلود فيها، فهذا الحديث لا يخفى أنه من أحاديث الوعيد، وعقيدة أهل السنة والجماعة فيمن كان كذلك: أنه تحت المشيئة؛ إن شاء الله عفا عنه بفضله، وإن شاء عذبه بعدله.

ت- أن دخول الموحدين النار، إنما هو للتطهير من فتنتي الشبهات والشهوات التي اجتالتهم عن البيضاء النقية.

٩- قوله: «**وهذا نوع من الكبر والإعجاب بالنفس**».

قلت: الجواب من وجهين:

أ- الكبر بطر الحق وغمط الناس، ومن رد الحديث الثابت المتفق على تلقيه بالقبول بين علماء الأمة، هو الأولى أن ينسب إلى الكبر؛ لأنه رد الحق المبين والهدى المستبين.

ب- وأما الإعجاب بالنفس؛ فإنه خليقٌ بمن يرى لنفسه حقاً على غيره دون موجب شرعي، أما الاعتزاز بالإسلام والعض بالنواجذ على المنهج؛ إنما هو من باب قوله -تعالى-: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت:٣٣].

١٠- وأختم حواري العلمي هذا مع (العودة)، (بالعودة) إلى كلام سطرَه بيده، وقاله بملئ فمه، في كتابه «صفة الغرباء» (ص ١٩ -٢٠) الذي يقرر فيه ثبوت صحة حديث الفرقة الناجية -رواية ودراية- قال:

«وقد ورد الحديث الذي يبشر بها عن جمع من الصحابة، وهم: أبو هريرة، ومعاوية، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعوف بن مالك، وأنس بن مالك، وأبو أمامة، وابن مسعود، وجابر بن عبدالله، وسعد بن أبي

وقاص، وأبو الدرداء، وواثلة بن الأسقع، وعمرو بن عوف المزني، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري.

وفي معظم الأحاديث ذكرت الفرقة الناجية بعد ذكر الاختلاف، وفي بعضها ذكر الاختلاف دون إشارة للفرقة الناجية.

وسأسوق هذه الأحاديث كلها مساقاً واحداً، حتى يتبيَّن بوضوح ثبوت الخبر في اختلاف الأمة ثبوتاً لا شك فيه[1]، إذ إن بعض هذه الأحاديث يشهد لبعضها الآخر.

ويكفي في ثبوت وجود الفرقة الناجية أن تكون معظم هذه الروايات ذكرتها.

ويؤكده تأكيداً لا يقبل الشك[1]، ما سيأتي بعد من ذكر الطائفة المنصورة».

أقول: هذا كلام (العودة) -نفسه-؛ وهو يدل على جملة أمور:

أ- أن التصحيح والتضعيف عند (سلمان) للأحاديث النبوية: لا يصدر عن إحاطة بعلم الحديث الشريف، والصناعة الحديثية؛ فإن قبِلنا قولَه الأولَ رَدَدْنا الثاني!! وإن كان العكسُ فالعكس!!! وإنما الرجل يتلون بتلون المواقف السياسية التي (قد) يمسي فيها المرء مؤمناً ويصبح كافراً، ويمسي كافراً، ويصبح مؤمناً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل وجاه ذليل.

ب- أن هذه الدراسات التي قام عليها العودة وأتباعه من (دعاة الصحوة) استدراج للسلفيين، ليؤمنوا بدعوتهم أول النهار، ويكفروا بها آخره؛ ليصيبوا منهم مقتلاً وتشكيكاً.

ت- أن من لم يرسخ في فنه أتى بالعجائب، وحكى الغرائب، وجلب على أمته النوائب والمصائب... وكان منهجه متناقضاً وقوله متعارضاً ...

ومن ثمارهم تعرفونهم!

وختاماً: أسأل الله الهداية لجميع المخالفين، والثبات لأنصار سنة سيد المرسلين، وأن يجمع كلمة الموحدين على الكتاب والسنة بفهم السلف الصالحين.

(١) سبحان الله! أين ذهب هذا اليقين في الثبوت، حتى آل إلى ما هو أوهى من بيت العنكبوت؟!!

اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك، ويا مصرف القلوب صرّف قلبي إلى طاعتك.

الحلقة الثانية والأخيرة

رسالة إلى الدُّعاة

• بقلم: الشيخ الإمام محمد بن صالح العثيمين

ومن آداب الدّعاة التي يجب أن يكونوا عليها هو تعاونهم فيما بينهم، لا همّ الواحد منهم أن يقبل قوله ويُقدَّم على غيره، بل يكون همّ الداعية أن تُقبل الدعوة، سواء صدرت منه أو من غيره، ما دُمت تُريد أن تعلو كلمة الله، فلا يهمنّك أن تكون من قِبَلِك أو من قِبَل غيرك.

صحيحٌ أن الإنسان يجب أن يكون الخير على يده، لكن لا يكره أن يكون الخير على يد غيره، بل يجب أن يحب أن تعلو كلمة الله، من أيٍّ كان، وإذا بنى اتجاهه على هذا؛ فسوف يعاون غيره في الدعوة إلى الله، وإن تقدّم قَبُول الناس لغيره على قبولهم إياه.

الواجب على الدعاة أن يكونوا يداً واحدة، يتساعدون، ويتعاونون، ويتشاورون فيما بينهم، وينطلقون انطلاقاً واحداً، ويقومون لله مثنى وثلاث ورباع ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ [سبأ:٤٦].

وإذا كنّا نرى أنّ دعاة الشرّ والسوء يجتمعون ويتحدون ويخططون، فلماذا لا يعمل الدعاة هذا العمل، حتى يرشد بعضهم بعضاً فيما يخطئ فيه الآخر من علم أو وسيلة دعوة أو ما أشبه ذلك؟!

ونحن إذا نظرنا إلى نصوص الكتاب والسنّة؛ وجدنا أنّ الله -تعالى- وصف المؤمنين بأوصاف تدل على أنهم متحدون متعاونون، قال الله -تعالى-: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١].

وقال -تعالى-: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٠١-١٠٥].

إنّ الشيطان يُلقي في قلب الداعية شيئاً من كراهة داعية مثله إذا نجح في دعوته، لا يحب أن يكون مثله في نجاح الدعوة، بل يكره أن يتقدّم هذا في النجاح، وقبول الناس له، ولهذا قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في تفسير الحسد: «إنّ الحسد أن تكره نعمة الله على غيرك، وإن كان معروفاً عند العلماء أن الحسد تمني زوال النعمة عن الغير، بل نقول: الحسد كراهة نعمة الله -تعالى- على غيرك، سواء تمنيت زوالها أم لم تتمنَ».

فأنت أيها الإنسان يجب عليك أن تعاون أخاك الداعية في دعوته، حتى وإن تقدّم عليك ونجح في دعوته، ما دمت تريد أن تكون كلمة الله هي العُليا.

ثمّ اعلموا -أيها الإخوة- أنّ دُعاة السوء والشر يحبون أن يتفرّق دُعاة الخير؛ لأنهم يعلمون أنّ اتحادهم وتعاونهم سبب لنجاحهم، وأنّ تفرقهم سبب لفشلهم، قال الله -تعالى-: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٦].

ولا ريب أنّ كلّ واحدٍ منّا معرَّض للخطأ؛ فلنتعاون على إزالة هذا الخطأ بالاتصال بصاحبه، وبيان هذا الخطأ، وقد يكون الخطأ خطأ في ظننا، ولكنه في الواقع ليس بخطأ، فيبيّن لنا هذا خطأنا، أمّا أن نأخذ من خطئه سبباً للقدح فيه، والتنفير عنه، فإنّ هذا ليس من سمات المؤمنين، فضلاً عن كونه من سمات الدعاة إلى الله -عزَّ وجل-، ولا أحد يشك أنَّ في هذه السنوات القريبة بدأ الشباب -ولله الحمد- ينطلق منطلقاً سليماً للدعوة إلى الله -عزَّ وجل-، ولكن حصل فيه شيء من الخطأ، في أنّ بعض الشباب الآن صار ينطلق من منطلق وحده، ولا يبالي برأي غيره، بل هو مُعجب بما عنده من العلم والفكر، وإن كان على جانب كبير من الجهل بعلمه.

والخطأ في فكره، فتجده يحتقر غيره، ولا ينصاع لما معه من الحق، حتى لو ذُكر له إمام من أئمة المسلمين المشهود لهم بالعلم والدين والأمانة، قال: ومن هذا، أليس رجلاً وأنا رجل؟!

مع العلم بأنّ ما ذهب إليه مما ادّعى أنه من رجولته مبني على قلّة البصيرة والعلم، فتجده لا يجمع بين أطراف الأدلة، فمثلاً: يأخذ بدليل -ولا سيما إذا كان هذا الدليل يدل على حكم غريب-، ويدع ما سواه، ولا يرعوي أو

ينصاع إذا قيل له: فكّر في الأمر، انظر في الأدلّة، انظر إلى خلاف جمهور العلماء مثلاً، ولكنه لا يفكّر، وهو -أيضاً- يعامل إخوانه الدعاة هذه المعاملة، يجد أنّ غيره إذا خالفه فهو على باطل، وهو الذي على الحق، كأنما يوحى إليه.

ولا شكّ أنّ هذا المنهج منهج غير سديد، فلا يجوز للإنسان أن يعتقد خطأ غيره، وأنّ الصواب معه في أمور تقبل الاجتهاد؛ لأنه إذا اعتقد ذلك فكأنما تنصّب منصب النبوة والرسالة والعصمة، فالخطأ الذي هو جائز على غيرك، جائز عليك، والصواب الذي تدّعيه لنفسك يدّعيه غيرك، ومن ثمّ صار بعض الشباب الآن ينتمي إلى طائفة معيّنة، أو إلى عالم معيّن ينتصر له، ويأخذ بقوله، سواء كان صواباً أم خطأ، وهذا في الواقع مما يشتت الأمّة، ويضعف العزيمة، ويجعل هؤلاء الشباب المقبلون على الله محلّ هزء وسخرية لأهل الشر والسوء.

فالواجب علينا أن نكون كما أمر الله، بل أن نكون كما وصفَنا الله ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وأن تكون كلمتنا واحدة، ولست أقول: إنه يجب أن يكون قولنا واحداً، بمعنى أن لا يقع بيننا خلاف فيما يسوغ فيه الخلاف؛ لأنّ هذا أمر لا يمكن، لكن أقول: إذا وقع بيننا خلاف فيما يسوغ فيه الخلاف، يجب ألا يؤدي هذا إلى اختلاف القلوب، بل تكون القلوب واحدة، والموالاة بيننا قائمة، والمحبة ثابتة، ولو اختلفنا فيما يسوغ فيه الاجتهاد.

وأضرب لهذا مثلاً، في مسألة تعتبر يسيرة بالنسبة للمهمات من الإسلام، كمسألة الجلوس في الصلاة عند القيام إلى الركعة الثانية، أو القيام إلى الركعة الرابعة، فإنّ من أهل العلم من يرى أنه سنّة، ومن العلماء من يرى أنه ليس بسنة، ومن العلماء من يفصّل.

والخلاف في هذا مشهور، لكن إذا كان صاحبي ومشاركي في الدعوة، يرى أنّ الجلوس سنّة، وأنا لا أرى أنّه سنّة، وجلس، ولم أجلس أنا، فهل يجوز لنا أن نجعل من هذا الخلاف سبباً لكراهة بعضنا بعضاً؟! أو للتشهير أو للتشنيع؟

لا والله لا يسوغ، وإذا كان الصحابة -رضي الله عنهم- اختلفوا في أمر أكبر من هذا، وأهمّ وأعظم، فلم ينفّر بعضهم عن بعض، ولم يكره بعضهم بعضاً، فما بالنا نحن، يكره بعضنا بعضاً من أجل هذه المسائل اليسيرة، بالنسبة لما هو أهم منها في الدين؟!

ألم يعلم الكثير منّا أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة الأحزاب، وجاءه جبريل، وأمره أن يخرج إلى بني قريظة؛ لنقضهم العهد، نَدَبَ أصحابه ﷺ إلى الخروج إلى بني قريضة، وقال: «لا يُصلينّ أحدٌ العصر إلا في بني قريظة»[1]، فخرجوا من المدينة، فأدركتهم الصلاة، فمنهم من قال: لا نصلّي إلا في بني قريظة، وأخّروا الصلاة حتى خرج الوقت، ومنهم من قال: نصلي العصر في وقتها، وإن لم نَصِل إلى بني قريظة، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فلم يُعَنِّف أحداً من الطائفتين، وهم -أنفسهم- لم يكن في قلوب بعضهم على بعض شيء من الكراهة أو العداوة، مع أنّ الخلاف هذا أشدّ من الاختلاف في الجلوس عند القيام للركعة الثانية أو الرابعة، أي: أنّ هذا الخلاف في إخراج الصلاة عن وقتها، أو أدائها في وقتها.

فالذي أرجوه من إخوتي الدعاة ألا يجعلوا هذه الأمور التي يقع فيها الاختلاف السائغ، والذي يُسوِّغه الاجتهاد، ألا يجعلوها سبباً للفُرقة والتحزب وتضليل بعضهم بعضاً؛ لأنّ ذلك مما يُضعف منصبهم أمام أعدائهم، وأنتم تعلمون أنّ هناك أعداءً يتربصون الدوائر بالدعاة إلى الخير، ولكن من كان الله معه فله العاقبة، وهو المنصور في الدنيا والآخرة، كما قال الله -تعالى-: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر:٥١].

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعلني وإياكم من أنصار دينه، والدعاة إليه على بصيرة، وأنْ يَهَبَ لنا منه رحمة، إنّه هو الوهاب.

(١) رواه البخاري - كتاب صلاة الخوف - باب صلاة الطالب والمطلوب راكباً وإيماء، رقم (٩٤٦).

مِن مُغالطات دعاة (الفكر التكفيري)

١

• بقلم: فضيلة الشيخ أبي الحارث علي بن حسن الحلبي الأثري

مِمّا لا يخفى على ذي نَظَر: أنّ الغَلَط من طبائع البَشَر، بل إنَّ الإصرارَ عليه يكادُ يكونُ - في أحيانٍ ما - طبعاً آخَرَ مِن طبائِعهم الإنسانيّة الناقصة التي لا ينجو منها إلا من رحم اللهُ - تعالى -.

لكنَّ ثمّةَ فرقاً بيِّناً بين (الغَلَط) و(المغالطة): فالغَلَطُ سببُهُ الجهلُ، أو عدم إدراك الحقائقِ على أصلها؛ أمّا المُغالطةُ: فإنّها تحملُ معنى الجهلُ المركّب، والتمادي في الغَلَط إلى مُنتهاه، بحيث تكادُ تُغلق على صاحبها أبواب الرجوعِ، أو حتى التفكير به!

ولستُ - هاهنا - في مجال الردّ على أغلاط (الفكر التكفيري) وشبهاتِهِ - تفصيلاً - والنقض على دعاوى أدعيائِهِ ودُعاتِهِ - تأصيلاً -؛ وإنّما وَكْدي كلُّه: الردُّ على بعض مُغالطاتهم الّتي يموّهون بها على الجهلاء، فيحسبونهم - بذلك - بُرآء!!

وأنظم ذلك في نقاطٍ - قرأتها لبعض جَهَلَتهم - قريباً -:

أولاً: قولهم: (الفكر التكفيري ليس له وجود)!! وهذه أشدُّ المُغالطات ظُلماً، وأعظمُها إثماً: فالفكر التكفيري لا يزال مستمرّاً منذ فجر التاريخ الإسلامي إلى هذه السّاعة، بل سيخرُجُ بقايا أتباعه مع الدّجّال الأكبر في آخِر الزمان - كما ثَبَتَ وصحّ عن النبي ﷺ في أشراط الساعة الكُبرى -.

وما يزالُ المسلمون - فضلاً عن غيرهم - يكتوون بظلام جهلهم، ونار فعلهم!!

وإنكار المحسوس مكابرةٌ للحقّ والواقع - ما لها من دافع -.

ثانياً: وأمّا قولُهُم عن فكرهم (!) - هـذا مُستنكرين - : (وهو من فكر الصـهيونية)!! فهذا إمعانٌ في المُغالطـة، وزيـادةٌ في التغلـيط، فالفكر الصهيوني - بطرقهِ وأساليبهِ - لم يَعُدْ خافياً - في ظل الثورة الإعلامية التي نعيشـها - حتى على صـبيان المـدارس؛ فلـم كـل هـذه المُكابرة ؟!

ثالثاً: وأمّا قولهُم : (نحن مسلمون نـؤدي عبـادات وطاعـات)!! فهذا شـأنٌ لا ننكِـره منهم وفيهم، بل هو مِن الأوصاف التي بيّنها لنا النبيّ ﷺ في أحاديثِه الشريفةِ المُحذِّرة مـن الخوارج، وأفكارهم، وأفعـالهم؛ منهـا قولُـهُ ﷺ : «يحقـر أحـدكم صـلاته مـع صـلاتهم وصـيامه مـع صـيامهم، يقـرؤون القـرآن لا يجاوز حناجرهم»!!

بل حالُهُم هذا - عباداتٍ وطاعاتٍ - مِن أشـدِّ أسـباب تغريـر العامـة بهـم، واغـترار الشباب بتلبيساتهم !! وإلاّ ؛ فلو كانوا فُسّـاقاً ظاهرين - للعبادات تاركين، وللطاعاتِ غيرَ فاعلين - لَمَا وجدوا لهم مُتّبعين، ولا مؤيّدين!

رابعاً: وأمّـا قـولهُم: (ولم نُكفِّـر أيَّ مسـلمٍ، ولا نسـتبيح مـالَ وعِـرضَ أيِّ مسـلم) فهـو التفعيل التطبيقي لمغالطتهم الكـبرى - الأولى- مِن إنكـار وجـود (الفكـر التكفـيري)؛ فهـم -حقّاً- لا يُكفِّرون مَن يعتقـدونهم مُسـلمين، فضلاً عـن اسـتباحة أمـوالهم، أو اسـتحلال قتلهم وأعراضـهم!!! وإنـّما حـالُهُم -ضـمن ذلـك التلبـيس الشـيطاني الشـديد - أنّهـم يعتقـدون المسـلمَ كـافراً - ضـمن شـبهات جهلهم، وتُرّهـات ضـلالهم -؛ فيسـتبيحون أمـوالهم، وأعراضـهم، ونفوسَـهم؛ عـلى اعتبارهم كافرين، لا أنّهم مُسلمون!!

خامساً: وأمّا قولُهُم : (نحن لا نُكَفِّرُ أحداً على الإطلاق، والكُفّار لَدينا هـم الـذين ورد وصفهم بالأحاديث النبيويّة الشريفة)!! فهـو دليلٌ ظاهرٌ على جهلهم البشع - من جهـة -، ومُغالطتهم الشنيعة - مِن جهةٍ أُخرى -؛ فهـل كُلُّ مَن ورد وصفُهُ في الأحاديث النبويّة الشريفـة لَنـه (كَفَـرَ)، أو (كـافر) : يكـون كـافراً عـلى الحقيقة؛ بمعنى أنّه مرتدٌّ عن دين الله، خارجٌ مِن ملّة الإسلام ؟!

فعلى هذا؛ ما معنى قول النبيّ ﷺ مُخاطبـاً الصحابة - رضي الله عنهم - :

«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضُكم رقابَ بعض»؟! فهل يصفُ هؤلاء الجهلة التكفيريون صحابةَ النبيّ ﷺ بالكفر - بسبب سوء فهمهم لهذا الحديث - ؟!

وأيضاً؛ ما معنى قول النبيِّ ﷺ :

« من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»: هل يُكَفِّرون كُلَّ حالفٍ بغير الله - تعالى -، ويخرجونه من ملّة الإسلام ؟!

... وهكذا في أحاديث نبويّة كثيرة، اتفق عُلماءُ السنّة، وأهلُ الحديث على فهمها فهماً واحداً، لا ثاني له : أنّها تحمل معنى الكفر الأصغر، الذي هو من الكبائر، لكنّه ليس مُخرجاً من الملّة؛ إلا بشروط دقيقة جدّاً لا يُدْرِكُها إلا أكابر العلماء، دون حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام.

ومحلّ بيان ذلك في مقالي التالي (ضوابط شيخ الإسلام ابن تيمية في التكفير) -ردّاً على بعض الكُتّاب الذين أخطؤوا في هذه القضيّة بالغَلَط الواضح الصَّريح-....

إذن؛ هؤلاء (التكفيريُّون) -المتلاعبون- يُكَفِّرون المسلمين، ويُخرجونهم من دين الإسلام : بناءاً على جهلهم بهذه الأحاديث، وضوابط فهمها الدقيقة جدّاً؛ فهم عندهم -لتكفيرهم إياهم بالباطل- ليسوا مسلمين !!

سادساً: مِن الغريب جدّاً - والعجيب - ما كتبته صحيفة حزبية إسلامية (!) حول بعض رؤوس التكفيريين الكبار، ناسبةً إليه أنّه (يرفض تكفير المجتمع أو الدولة)!! متناسيةً أو غافلةً أو جاهلةً أنّ له كتاباً مشهوراً سائراً سمّاه : «الكواشف الجلية في كفر الدولة ...» -وسمّاها- !!!

فأيّ تناقض هذا بين الدعوة والدعوى!؟!

سابعاً: ما أعلنه بعضُ هؤلاء التكفيريين من استعدادهم لمناظرة مَن يتّهمهم بأنّهم تكفيريّون : لعبةٌ سياسيّة ماكرةٌ، يُريدون مِن ورائها دغدغة عواطف العوامّ، وإثارة حماسات الجهلة الطغام، وإظهار أنفسهم بثوب العلم والمعرفة وهم منها خواءٌ ...

ولقد جرّبنا مناظرةَ بعضٍ منهم -قديماً وحديثاً-: فما وجدنا إلا الجهل، والمُكابَرة، والإعراض، وتسفيه العُلماء العارفين، والطعن بأئمّة الدين، والغمز الباطل

بمخالفيهم؛ تارةً بالإرجاء، وتارةً أخرى بالعمالة، وهكذا ...

ثامناً: تسميةُ هؤلاءِ التكفيريِّين لاثنين مِن رؤوس دعاة الفكر التكفيري - المشاهير! - على اعتبار أنّهما (مرجعيتهم في هذا الإطار) - التكفيري -!! تدلُّ على شيئين :

الأول: أنّهم مقطوعو الصلة بأهل العلم الربّانيّين، وأئمّة السنة والعقيدة والدين - المُتّفق على مكانتهم، والمُجْمَع على إمامتهم -؛ فلم يذكروا عالماً مُعتبراً واحداً، سوى هذين الرأسين !!! ورسولُنا ﷺ يقول : «إنَّ مِن أشراط الساعة أن يُلتمس العلم عند الأصاغر» .

الثاني: أنّ حُجَجَهم في تكفيرهم الحَلَزوني للمسلمين - ممّا لا يعدّونه هم تكفيراً لمسلم - واهية واهنة!!

ذلكم أنّ لهذين الرأسَين المذكورَين مؤلَّفاتٍ عدةً، وكتابات مُتعدّدة - معروفة، ومنشورة - أفرغوا فيها آراءهم، وجمعوا فيها شبهاتهم : فلم نَرَ فيها - بعد التأمل والدراسة الدقيقة - إلا التمويه، والتسفيه، والتشويه؛ ملفوفاً ذلك كلُّه بثوب العُجبِ، ورداء التعالُم، فضلاً عمّا فيها من مخالفاتٍ ظاهرة كبرى لنصوص العُلماء، وأقوال الأئمّة الكُبراء؛ الذين لايقيمون لهم وزناً، ولا يرفعون لهم رأساً .

تاسعاً: نصيحةٌ صادقةٌ، نابعةٌ مِن قول النبيِّ ﷺ «الدين النصيحة ... » أوجِّهها لهؤلاء :

أن يتقوا اللهَ - تعالى - في أنفسهم، وفي المسلمين، وأن يتوبوا من آرائهم الغاليةِ المتطرّفة - تلك -، وأن يعودوا إلى العُلَماء الربّانيين ليأخذوا عنهم، ويستفيدوا منهم؛ بدلاً من الطعن الباطل فيهم، والإنكار الفاشل لإمامتهم ومكانتهم، وأن يفيئوا إلى أُسَرِهم، وبيوتهم، ومجتمعاتهم، وأوطانهم : ليكونوا صالحين مصلحين؛ بدلاً من هذا الفساد والإفساد الّذي يصدّرونه - جهلاً وإصراراً - بإسم (الإسلام)، وهو مِن ذلك براءٌ ...

وقفةٌ أخرى مع اليماني فيما نسبه للدَّعوة السَّلفيِّة

٢

• بقلم: محمد بن يوسف خشان

لم أستغرب كثيراً لما قرأت ما نسبه إلي اليماني في طليعة رده حينما قال أنني بجرة قلم أخرجته من الملة،وما كنت أرغب أن أقف له على مثل هذا الكلام من حيث العجلة والتسرع في الإلزام، إذ ليس في كلامي ما يدل على ذلك أو قريب منه، فالأصل أن يحمل كلامي على أحسن محمل، فالكلام خطير جداً فهو متعلق بدعواه تكفيري إياه وخروجه من الملة، ومن المعلوم في قواعد العلم أن هذا لا يصار إليه بمجملات الكلام ولوازمه، ولكن لا إشكال فكما يقال: - الصراخ على قدر الألم، وأنا أقطع جازماً أن اليماني لا يعتقد أنني أخرجته من الملة وإنما هي استثارة عواطف وتهييج مشاعر لا أكثر،فرويدك يا أخانا رويدك..

ويعلم الله أنني ما أكتب هذا الكلام إلا دفاعاً عن السنة وحباً لها ولأهلها وحرصاً على هذه الدعوة من أن ينسب إليها ما هي منه براء، وفي الوقت نفسه حرصي على كل مخالف أن يرجع إلى الحق فعسى الله أن يجري من الكلام ما يكون سبباً في الهداية.

عنون اليماني رده علي - الذي نشرته «السبيل» ولم تنشر ردي بحجة الحفاظ على القواعد المرعية في الصحافة- بقوله: «السلفية الألبانية فرقة من الفرق وليست مفتاح الحق والصواب».

أقول : وكأن الله جل وعلا قد ترك الخلق هملاً فلم يبين لهم طريق الحق وسبيل الاستقامة، فالسلفية الألبانية فرقة من الفرق وليست مفتاح الحق والصواب وجماعة الإخوان المسلمين فرقة من الفرق وليست مفتاح الحق والصواب وجماعة التبليغ فرقة من الفرق وليست مفتاح الحق والصواب والأشعرية فرقة من الفرق وليست مفتاح الحق والصواب وهكذا سائر الفرق والجماعات الإسلامية..فعلى كلام اليماني ليس هناك حقٌ واضحٌ مبين وليس ثمة فرقة هي مفتاحٌ للحق والصواب، فالحق خفي وغير ظاهر.

أقول: وهذا الكلام لا يقوله -والله- إلا مخذول لم يعرف دين الله حق المعرفة، وكان الله في عون العوام، فلا أدري أي منهج يتبعون ومن يجالسون ويستفتون في ظل هذه المعمعة وهذا الاختلاف بين الجماعات

والفرق، مذكراً بقوله -جل وعلا-: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فاللهم هداك.

روى الإمام الترمذي في «سننه» (٥/ ٢٦) والحاكم في «مستدركه» (١/ ١٢٨) وغيرهما -بأسانيد يعضد بعضها بعضاً- من حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة، قالوا : ومن هي يا رسول الله قال: ما أنا عليه وأصحابي».

فطريق الحق واحدٌ لا يتعدد، فمن اتبع هدي النبي -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه المرضيين فهو المفلح الناجي، مع الجزم التام- في ذات الوقت - بأن هناك طائفة بين باقي الفِرق هي على الحق وهي من كانت على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه في العقيدة والعمل وهم السلفيون أصحاب الحديث، ورحم الله الإمام أحمد، والإمام البخاري، والإمام ابن سنان، وغيرهم حينما قالوا كلاما خلاصة معناه: إن لم تكن الفرقة الناجية هم أهل الحديث فلا ندري من هم!

فمن سلك غير هذا الطريق وهذا السبيل فهو الهالك الخاسر ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

ثم أمر آخر هو من الأهمية بمكان وهو أن (اليماني) يسعى إلى فصل ما يسميه – من عند نفسه – بالسلفية الألبانية عن السلفية الحقّة التي يتصل سندها إلى النبي ﷺ وصحبه، في محاولة منه إلى قطع سندها وبالتالي جعلها فرقة كسائر الفرق -كما صرح- ثم إسقاطها.. وهذا -والله- لا يكون ولن يكون لـه ولأمثاله، فسلفية اليوم ليست هي -والله- إلا سلفية الأمس، فمنهج الأمس هو الهدف والغاية، وهو المثال الذي يضعه نصب عينيه كل متبع لمنهج السلف الصالح كي ينسج على منواله ويقتفي آثاره، وليس ثمة فرق بين سلفية الأمس واليوم إلا من جهة ما يتعلق بقدرة الفرد المسلم المتبع على العمل والتطبيق من ناحية، وما يفتح الله به على عبده من فهمٍ للنصوص ضمن ضوابط الشرع وقيوده من ناحيةٍ أخرى، فالفرق بينهما هو الفرق بين الأصل التام الذي ربى عليه رسول الله ﷺ خير القرون سلوكاً وعقيدةً ومنهجاً وفقهاً، وبين التطبيق المعاصر الذي يجتهد في الاقتراب من الأصل والتحقق بمواصفاته، فسلفية اليوم هي منهج الصحابة الأخيار الذي اكتمل عقيدةً وفقهاً وسلوكاً، والذي يفخر كل مسلم بشرف النسبة إليه.

ثم قال (اليماني) كلاماً معناه: أننا نزعم بأننا ممثلو دين الله.

قلت: وهذا خطأ في فهمه وانحراف فيه كما هو العهد به، فلسنا ندعي أننا نمثل دين الله أو أن دين الله متمثل فينا، فهذا كلامٌ لا ينبغي أن يدعيه من يؤمن بالله واليوم الآخر، ولكن أقول: هذا كتاب الله تعالى وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- ومنهج الصحابة الأخيار وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين بين أيدينا ماثلة، فهي الحق الذي نتحاكم إليه وسوى ذلك الباطل.

ثم إننا نتكلم بطريقة صاحب الحق المدافع عنه كما هو الواجب على كل من يدعو إلى منهج الكتاب والسنة، ولا يلزم في الوقت نفسه أننا ندعي بأننا نمثل دين الله كما فهم (اليماني) ذلك، فليس هناك تلازم بين الأمرين!! فافهم هذا تصب بإذن الله.

وأما سؤالك عن الدعوة السلفية وماهيتها وهل يدخل فيها فلان وفلان فأقول: سيأتيك الجواب عن هذا قريباً بمقال مفرد بإذن الله.

وأما اتهام أحد أعمدة المركز -على حد تعبيره- وهو شيخنا الحبيب علي الحلبي -أعلى الله قدره- من قبل هيئة كبار العلماء بالإرجاء، فأقول: مع كامل حبنا وتقديرنا واحترامنا لأعضاء اللجنة الدائمة إلا أنهم وبكل صراحة ووضوح لم يصيبوا الحق في ذلك، فكلٌ يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي -عليه الصلاة والسلام-، وخاصةً إذا علم (اليماني)- سدده الله- أن علماءَ كبار من المملكة قد خالفوا أعضاء اللجنة الدائمة في فتواهم وعلى رأسهم الشيخ أحمد بن يحيى النجمي مفتي الجنوب، والشيخ حسين آل الشيخ إمام الحرم النبوي، والشيخ عبيد الجابري، وغيرهم- حفظ الله الجميع- ومن قرأ كلام الطرفين بصدقٍ وإنصاف وخاصةً كلام شيخنا علي -أعلى الله قدره- مع فهم القارئ لمسائل الإيمان عرف الصواب في ذلك، نعم قد يكون هناك بعض الخطأ، أو زلة قلم وقعت في المسألة أول التصنيف، إلا أن طالب العلم لا يزال تتبرهن له المسائل ما دام طالباً للعلم مستزيداً منه، فالحمد لله على كل حال.

وأما اعتبارك لكلامنا في الجماعات بأنه من باب التفسيق والتبديع.

فأقول جواباً عن هذا: الذي يظهر لي من كلام (اليماني) أنه قليل البضاعة من العلم وخاصة تراث السلف، ومن المسالك المعروفة عند أهل الأهواء والبدع أنهم يسمون الأشياء بغير اسمها الشرعي تنفيراً للناس عنها، فقديما كان نفاة الصفات الاختيارية - التي يفعلها الرب جل وعلا بمشيئته وإرادته -كالأشعرية والماتريدية- ومازالوا - يطلقون على صفات الأفعال بما يسمونه « حلول الحوادث» فإذا سمعها العامي ظنها أمر سوء أو قولاً مستنكرا، وكذلك معطلة الصفات بعموم، فإذا قام السني يثبت لله صفة العلو -مثلاً- قالوا للناس: معاذ الله، يثبتون لله الجهة، وإذا أثبتنا صفة الوجه واليد والساق وسائر صفات الذات قالوا: معاذ الله أنتم مجسمة وحشوية، وها هو (اليماني) يذكرنا بتاريخ من مضى من

أهل الزيغ والضلال -وما أكثرهم- فيسمي حراسة الشريعة والكلام في المخالف بأنه تبديع وتفسيق وهجوم، ويسمي تركنا للكلام في السياسة غير الشرعية سياسة الفضائيات والجرائد بأنه ترك لقضايا الأمة المصيرية،كذا يقول، والله المستعان على تغييب السنة في هذا الزمان،ورحم الله ابن المبارك حين قال كما في «الاعتصام» (١/ ٦٥): «اعلم أخي! إن الموت كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة فإنا لله وإنا إليه راجعون فإلى الله المشتكى وحشتنا وذهاب الإخوان وقلة الأعوان وظهور البدع وإلى الله نشكو عظيم ما حل بهذه الأمة من ذهاب العلماء وأهل السنة وظهور البدع» .اهـ

رحمك الله يا ابن المبارك فكيف لو رأيت أهل زماننا!!

أرجع وأقول: ومن الإتحافات في باب الرد على المخالف وتقويم الخطأ، ما رواه الإمامان البخاري (١/ ٢٨٧-فتح) ومسلم (٨/ ١٣٣-نووي) -كلٌ في صحيحه- والسياق لمسلم- من حديث سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفاً البكالي يزعم أن موسى -عليه السلام- صاحب بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر -عليه السلام-: فقال: **كذب عدو الله**، سمعت أبي بن كعب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول... ثم ساق الحديث بتمامه، وموضع الشاهد قول ابن عباس عن نوف: **كذب عدو الله**.

يقول الإمام النووي -رحمه الله- عن نوف: وكان عالماً حكيماً قاضياً وإماماً لأهل دمشق، وأما عن وجه قول ابن عباس عن نوف هذا الكلام الشديد فيقول الإمام النووي -أيضاً- في الموضع السابق: قال العلماء: هو على وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة، إنما قاله مبالغةً في إنكار قوله لمخالفته قول رسول الله ﷺ...اهـ

ويقول الحافظ ابن حجر- رحمه الله- أيضاً عند شرحه لهذا الحديث (١/ ٢٨٩): قال ابن التين: «لم يرد ابن عباس إخراج نوف عن ولاية الله **ولكن قلوب العلماء تنفر إذا سمعت غير الحق فيطلقون أمثال هذا الكلام لقصد الزجر والتحذير منه ..**» اهـ.

وإليك أخي باغي الحق -أيضاً- طائفةً من كلام أئمة الإسلام والسنة في وجوب التحذير من أهل البدع وذم مقالات أصحابها وبيان شدتهم في ذلك كي تستبين السبيل لطالب الهداية..

يقول الإمام الترمذي -رحمه الله- كما في كتابه «العلل» والمطبوع في آخر كتابه «السنن» (٥/ ٦٩٤): «**وقد عاب بعض من (لا يفهم) على أهل الحديث الكلام في الرجال**» وقد وجدنا غير واحد من الأئمة من التابعين قد تكلموا في الرجال منهم الحسن البصري وطاووس؛ تكلما في معبد الجهني، وتكلم سعيد بن جبير في طلق بن حبيب، وتكلم إبراهيم النخعي وعامر الشعبي في الحارث الأعور وهكذا روي عن أيوب السختياني وعبد الله بن عون وسليمان التيمي وشعبة بن

الحجاج وسفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وعبد الله بن المبارك ويحيى بن سعيد القطان ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن ابن مهدي وغيرهم من أهل العلم أنهم تكلموا في الرجال وضعفوا.

وإنما حملهم على ذلك عندنا -والله أعلم- النصيحة للمسلمين، لا يظن بهم أنهم أرادوا الطعن على الناس أو الغيبة، إنما أرادوا عندنا أن يبينوا ضعف هؤلاء كي يُعرفوا لأن بعضهم من الذين ضُعِّفوا كان صاحب بدعة وبعضهم كان متهماً في الحديث وبعضهم كانوا أصحاب غفلة وكثرة خطأ فأراد هؤلاء الأئمة أن يبينوا أحوالهم شفقةً على الدين وتثبيتاً؛ لأن الشهادة في الدين أحق أن يُتَثَبَتَ فيها من الشهادة في الحقوق والأموال.

قال: وأخبرني محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد ابن يحيى بن سعيد القطان حدثني أبي قال: سألت سفيان الثوري وشعبة ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة عن الرجل تكون فيه تهمة أو ضعف، أسكت أو أُبيِّن؟ قالوا: بيِّن.

ويقول الإمام الذهبي -رحمه الله- كما في «السير» (٧/ ٤٥٠): قال شيخ الإسلام -أبو إسماعيل الأنصاري- في «الفاروق» -له-: «قال أحمد بن حنبل: إذا رأيت الرجل يغمز حماد ابن سلمة فاتهمه على الإسلام فإنه كان **شديداً على المبتدعة**».

وقد كان الإمام أحمد -رحمه الله- لشدة تمسكه بالسنة ونهيه عن البدعة يتكلم في جماعة من الأخيار خالفوا الحق في أشياء مما لا يسوغ فيه الخلاف ولم يمنعه ذلك من النصيحة لدين الله، ففي «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٣٤): «قال علي بن أبي خالد: قلت لأحمد بن حنبل -رحمه الله-: إن هذا الشيخ -لشيخ حضر معنا- هو جاري وقد نهيته عن رجل، ويجب أن يسمع قولك فيه: حارث القصير -يعني حارثاً المحاسبي- وكنت رأيتني معه منذ سنين كثيرة، فقلت لي: لا تجالسه، فما تقول فيه؟ فرأيت أحمد قد احمر لونه وانتفخت أوداجه وعيناه وما رأيته هكذا قط ثم جعل ينتفض ويقول: ذاك؟ فعل الله به وفعل، ليس يعرف ذاك إلا من خبره وعرفه، أوّيه أوّيه أوّيه، ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره وعرفه، ذاك جالسه المغازلي ويعقوب وفلان فأخرجهم إلى رأي جهم، هلكوا بسببه فقال له الشيخ: يا أبا عبد الله! يروي الحديث! ساكن خاشع! من قصته ومن قصته! فغضب أبو عبد الله وجعل يقول: لا يغرك خشوعه ولينه ويقول: لا تغتر بتنكيس رأسه فإنه رجل سوء ذاك لا يعرفه إلا من خبره، لا تكلمه ولا كرامة له، كل من حدث بأحاديث رسول الله ﷺ وكان مبتدعاً، تجلس إليه؟! لا ولا كرامة! ولا نعمى عين، وجعل يقول: ذاك، ذاك».

ويقول الحاكم -رحمه الله- كما في «معرفة علوم الحديث» (ص٤): سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول: سمعت أبا إسماعيل الترمذي يقول: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أبي عبد الله، فقال له أحمد

ابن الحسن يا أبا عبد الله! ذكروا لابن أبي فتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال: أصحاب الحديث قوم سوء. فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه فقال: **زنديق! زنديق! زنديق!**

وفي «السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد -رحمهما الله تعالى- (١/ ١٦٥) يقول عبد الله: «سمعت أبي يقول من قال: لفظي بالقرآن مخلوق هذا كلام سوء رديء وهو كلام الجهمية، قلت له: الكرابيسي يقول هذا، فقال: **كذب هتكه الله الخبيث** ...» اهـ

فماذا يقول من ينكر هذا المنهج؟ هل ابن عباس، والإمام أحمد، والأئمة - رحمهم الله تعالى- متشددون أو ليس عندهم إلا التبديع والتفسيق؟ والله ما هي إلا النصيحة لدين الله، وحب السنة، والذب عنها، قد يقول جاهل: أين أنتم منهم؟ هم أنزلوا الكلام في مواضعه الصحيحة وعلى أصحابه ممن يستحق التبديع، أما انتم فتجاوزتم حدكم وأنزلتم الكلام على من لا يستحقه...

فأقول جواباً على هذه الجهالة:

إن هذه ليست لكم، فالذي يحكم بمثل هذا الكلام، والذي يحذر من خطأ كذا أو كذا أو من منهج زيدٍ أو عمرٍ، هم أهل العلم بالكتاب والسنة والدراية بالبدع ومداخلها - وللإنصاف- لستم من أهل العلم **الصحيح** حتى يكون لحكمكم وزن واعتبار، وهذا مما لا يحتاج إلى بيان، ثم أمر آخر وهو أن القاعدة عندكم هي «جمِّع..جمِّع» و«نجتمع فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه».

وهذا كله بصرف النظر عن نوعية التجميع ولو كان على الباطل، أو خلاف السنة، وبصرف النظر أيضاً عن مستوى الخلاف بين الفرق وطبيعته -حاشا السلفية-!! وهل هو مما يسوغ فيه الخلاف أو لا يسوغ كما صرح بذلك (اليماني) -بل وكبار قادة جماعته من قبل-، إلى غير ذلك من الظلمات التي بعضها فوق بعض، والتي ينفر منها قلب كل سلفي غيورٍ على الحق، وهذا كله مما يجعل حكمكم في غاية الميوعة، والتساهل المخل بسبب البعد عن قواعد العلم وأصوله الصحيحة حين الحكم على الأفراد والجماعات.

فهل تريدون -يا قومنا- اجتماعاً على باطل وعذراً على خلاف الحق الواضح الصريح؟ إن هذا لا يقوله -والله- إلا رجل جهول لم يذق حلاوة السنة، أو سيئ القصد مخذول، والله الموعد.

وفي «السير» (١٧/ ٥٦٦) في ترجمة الإمام الأثري أبي عمر أحمد بن محمد الطلمنكي، يقول عنه ابن بشكوال: «**كان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع، قامعاً لهم**، غيوراً على الشريعة، شديداً في ذات الله...».

وفي «السير» أيضاً (١٨/ ٣٣٣) في ترجمة أبي منصور البغدادي،: قال عنه الخطيب: «كان أوحد وقته في فعل الخير ودوام الصدقة والإفضال على العلماء **والنصر لأهل السنة والقمع لأهل البدع**».

ويقول العز بن عبد السلام كما في «ملحة الاعتقاد» (ص/ ٤٧):

«سلاح العالم علمه ولسانه فلا يجوز للعلماء إغماد ألسنتهم عن الزائغين والمبتدعين فمن ناضل عن الله وأظهر دين الله كان جديراً أن يحرسه الله بعينه التي لا تنام وبعزه الذي لا يضام ويحفظه من جميع الأنام».

بل قال – رحمه الله – أيضاً (ص/ ٢٥) رداً على من لا يفهم: «ليس رد البدع وإبطالها من باب إثارة الفتن فإن الله –سبحانه– أمر العلماء بذلك وأمرهم أن يبينوا ما علموه».

أقول: والكلام في هذا الباب مع حشد النقولات المأثورة عن السلف مما يحتمل مجلدات ولكنها الإشارة، فباب التبديع والتفسيق بالحق وللحق معتبر عند العلماء قديماً وحديثا ولم يخالف في ذلك المنهج أو يطعن فيه أو في أصحابه إلا من لا يعلم ومن لا يفهم من أهل الجهل والغباوة،والله المستعان.

فمن ارتكب ما مقتضاه التبديع والتفسيق فقد انطبق عليه وصف البدعة والفسق ووجب التحذير منه نصيحةً لدين الله جلّ في علاه، وحفظاً للشريعة أن يدخل فيها ما ليس منها،فأي جهادٍ أعظم من جهاد أهل البدع والرد عليهم، وقد قال –عليه الصلاة والسلام–: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»، وهذه كتب الجرح والتعديل بين أيدينا زاخرة بكلام أئمة الإسلام والسنة بالنصح والتحذير، بالرفق تارة، وبالشدة تارةً أخرى، فليراجعها من لا يعلم ومن لا يفهم، فعسى أن يكون له رصيدٌ من أيمان يستجلب به توفيق ربه سبحانه فيُهدى إلى سواء السبيل.

ويقول (اليماني): «أما قضايا الأمة التي قلنا أنها تغيب في خطاب هذا التيار فهي غائبة بالفعل، وها هو صاحب الرد يؤكد ذلك بنفسه حيث يعتبر أن قضية الأمة فقط هي إرجاع الناس إلى الدين الصحيح والمنهج الرباني القويم، لكأن الأمة كانت في ضلال مبين من قبل، أو لكأن الآخرين من العلماء والجماعات الإسلامية يدعون الناس إلى الضلال المبين».

أقول: في هذا الكلام تحريف وتخريف كما هو العهد بصاحبنا، فأي همٍّ أعظم وأعلى وأجلّ يا يماني من إرجاع الناس إلى المنبع الصافي!! وهل يكون عز الأمة واسترجاع مجدها وكرامتها إلا بالرجوع إلى الدين الصحيح، أم أن الرجوع إلى الدين أصبح غير كافٍ لإصلاح الأمة ؟ أو عذراً!! فلعل المظاهرات الحماسية الحاشدة والخطب الرنانة ودعوة الجماهير للخروج في المسيرات والتي أشربتها قلوبكم وعقولكم كشرب السفنجة للماء قد أصبحت هي السبيل الصحيح للقيام بالأمة وإرجاعها إلى مسارها الذي أراده الله –جل وعلا– لها.

أقول: ووالله ثم والله لو بقي العبد لا يدري عما يدور حوله مما يسمى بالسياسة – سياسة الصحف والفضائيات– فلن يسأله الله عن ذلك، فالأمر عظيم، وبذنوبنا تسلط الكافر علينا وبتركنا أوامر ربنا اجتمعت الأمم علينا، ولم نعلم يوماً– والله– أن هذه الأفعال قد آتت

ثمارها وحققت آثارها المرجوّة، فالشيطان قد أشغل الناس فيما لا يقدرون عليه وجعلهم يتركون ما يقدرون عليه.

نعم، لا بد من معرفة أحوال الأعداء والتعرف على مواضع قوتهم وضعفهم، فكما لا يخفى أنه لا يتم التحرز من أضرار الأمم الكافرة والتوقي لشرورها إلا بالوقوف على مقاصدهم ودرس أحوالهم وسياساتهم، فجهل المسلمين بها؛ نقص كبير وضرر خطير، ولهذا كان من أركان السياسة والقيادة: المعرفة والوقوف التام على أحوال الأعداء وهذا من واجبات الأمراء والعلماء على حدٍ سواء،فباجتماعهما ينصلح الأمر وبتفرقهما يحصل الفساد.

والسياسة الداخلية لا تتم إلا بإحكام السياسة الخارجية، مع العلم التام الذي لا شك فيه أن ما يتعلق بأمور الفتوى في النوازل مما لا يتداخل وصلاحيات ولي الأمر في أمور الدولة وسياستها كالجهاد ونحوه هو من اختصاص المجتهد المتبصر بالكتاب والسنة وليس من اختصاص الأدعياء الأغرار الذين ليس لهم- والله- من معرفة السياسة الصحيحة إلا كمعرفة فرعون بالتوحيد، فترى الواحد من هؤلاء يقضي الساعات في تحليل خطاب للرئيس الأمريكي- مثلا- والغوص في حقائقه وخفاياه، وآخر يسعى في تتبع مقالةٍ لكاتب غربي كي يستخلص منها الفوائد والعبر،كل هذا والقوم بين هذىً وأذىً وبمعزلٍ عن أدنى فهم للسياسة الشرعية والتي تقوم على تدبير شؤون الناس ورعاية مصالحهم ودفع المضار عنهم بما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية، ورحم الله ابن القيم حين قال -كما في «إعلام الموقعين» (٤/ ٢١٢)-: «العالم بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة فهو المجتهد في النوازل» اهـ.

هذه السياسة التي يريدها السلفيون يا يماني، معرفةٌ بالواقع الصحيح أولاً، ومن عالمٍ متبصرٍ بالكتاب والسنة ثانياً، وتحت هذين الأصلين تندرج فروع ليس هذا موضع بسطها وبيانها، ولعلي بهذا قد أجبت (اليماني) ولو بإجمال عن طبيعة السياسة التي يمارسها وينادي بها السلفيون، فإن أبيت إلاّ التفصيل فارجع إن شئت لكتاب « مدارك النظر في السياسة» للشيخ عبد المالك الرمضاني -حفظه الله- ولرسالة شيخنا أبي عبيدة مشهور بن حسن -حفظه الله- « السياسة التي يريدها السلفيون» فلعلك تُهدى إلى سواء السبيل، ففيهما الغنية والكفاية وهما أصلان في تقرير مسائل السياسة الشرعية.

وأخيراً، همسة في أُذن (اليماني)- كجواب على سؤاله بصيغة سؤال فاللبيب تكفيه الإشارة -:

أين رصيد جماعة الإخوان والجماعات الإسلامية يا يماني من دعوة الناس إلى التوحيد الحق والسنة المحضة؟!

والتحذير من البدع وأهلها؟!

وأين الدفاع والذَّب عن الشريعة الغرّاء؟!

.... سؤالٌ جوابه صعب... أظن.

والحمد لله رب العالمين.

وللبحث بقية...

مَقَالٌ ... وَرَدّ

٣

• بقلم: عمر بن بسام الصادق

لقد اطلعت في مجلة (الأصالة) العدد (٤٩) – على مقال: (من حق الشيخ الإمام الألباني على طلاب العلم)، تحت زاوية (حقوق العلماء)، بقلم: (عبدالكريم بن رسمي الدريني) . . .، فألفيتها كلمة صادرة –إن شاء الله– من محبٍّ للشيخ –رحمه الله–؛ غير أني رأيته يريد أن يبلغ مراداً في نفسه، فما أحسن العبور من المقدمة إلى النتيجة، بحيث لم يكد المحبُّ الموافق يسلِّم له بعدُ –أو قل: لم يكد يفهم– مراده، حتى انتقل إلى الغاية التي أرادها، وهي –على حدّ تعبيره–: أنّ من حقِّ الشيخ الألباني على طلاب العلم أن يُتمُّوا أعماله العلميّة . . . إلى آخر كلامه –سدّده الله–.

وأنا معه في وجوب توحيد الأقلام –بدءاً وانتهاءً–؛ للوصول إلى مَعْلَمةٍ علميّة راسخة، تحقيقاً عملياً لمبدإ (التصفية والتربية)؛ غير أن لي على مقاله نظرات، أرجو أن يتقبلها مني بقبول حسن –صَدَراً ووِرْداً–:

١ – ليست المشكلة التي نواجهها مجرَّد بحوثه في التخريج –فضلاً عن جزئية طريق لم يجده أو راوٍ لم يعرفه–! وإنما هي جميع فنون العلم التي تكلّم فيها وبحثها، كسائر إخوانه من العلماء: فقهاً وأصولاً، وتفسيراً ومصطلحاً، وغير ذلك.

٢ – أن خدمته لا تعني –بحالٍ– أن ينسب إلى الشيخ ما لم يقله، أو يخطر له على بالٍ؛ وإن كنّا نحن نعتقد –أو نجزم– بصوابه! فأن يخرج كتاب ألَّفه الشيخ –فيه وَهَمٌ، أو زلل، أو نحو ذلك–: لا يسوّغ لنا أن نعبث بكتبه، فنحذف، أو نزيد، أو نغيّر،

بَلْ غاية إسهامنا في خدمته أحد أمرين: إمّا أن نحشّي على كتبه فيما استطعنا وأُذن لنا فيه، وإمّا بتأليف مستقل، فيه التنبيه على ما نُريد، حافظين له قدره!!

٣- أن عملنا السابق -بطريقتي المقترحة، أو بطريقة الأخ المقترحة، أو أي طريقة أخرى- لا يمكن أن تكون نتيجتها واحدة لا تتخلّف لزاماً! بل قد تُصيب سهامها وقد تطيش، وأعني: أنّ مراده -سدّده الله- أظنُّ أنه من باب الاعتداء في الدعاء والأمانيّ؛ إذ أين في الدنيا كلّها كتاب بشريٌّ سلم من مجال لمنتقد ما؟! فتنبه!!!

٤- أنّ المنقبة التي ذكرها -سدّده الله-؛ قد حجّر فيها واسعاً، وضيَّق بها أيّما تضييق!! ولست بالشاكِّ أنّ للشيخ فيها قصب السبق، والقَدَحَ المعلَّى، غير أنه لم يتفرّد بها من بين العلماء، أو طلبة العلم -قدماء أو محدثين-، ودليلي على ذلك: أني لم أجد في ذهني -وعلى عجالة من نظري- مثالاً لما يذكر! ولست أجعل بحثي المتأني -بَلْهَ المتعجِّل، أو نظري المتسرع- دليلاً يُنْقَضُ به أمثلة -قلّت أو كثرت- في ذهن أحد أو بحثه! ولكن هو دليل تنقض به دعوى عريضة في كلامه -سدّد الله خطاي وخطاه- وهي الأكثريّة التي جعلته يطلق كليَّته المذكورة، ويسطر كلماته المزبورة؛ فإنّ تطريد كلامه يلزم أن يجد الناظر -من غير كلفة- المثال أمامه فوراً! والواقع خلافه تماماً، كما أسلفت.

٥- أن تمثيله بالهيثمي فيه نظر! ولا أدري إن كان مقصوداً أو لا؟! وكان يمكنه أن يضرب عشرات الأمثلة -غير مبالغٍ-، ممن انتقدهم شيخنا نفسه، ممَّن هم أعلى كعباً من الهيثمي، وأقعد في هذا العلم، وأبعد عن نَفَسِ التساهل المعهود منه، كما لا يخفى على متأمل! وقد جمع شيخي أبو الحارث الحلبي -حفظه الله- مئات الأمثلة على ذلك، في مشروع أسأل الله أن يمُنَّ بإتمامه، وهو «معجم استدراكات وتعقبات العلامة الألباني على المؤلِّفين والمؤلَّفات». أقول هذا، وأنا مدرك تمام الإدراك نبوغ الهيثمي وتقدُّمه في هذا العلم؛ لكن الكاتب في منهجٍ ما ينبغي أن يختارا مثالاً مانعاً جامعاً، كما لا يخفى على منطقي! أمّا كونه مانعاً؛ فحتى لا يدخل في الممثَّل عليه ما ليس منه، وأمّا كونه جامعاً؛

فليحوي جميع أفراده، والممثل بالأدنى -أو من ليس بالأعلى- لم يفعل ذلك؛ فتنبه!!!

٦- ثمّ إنه -سدده الله- شرع يبيّن بعض الأسباب التي أدّت إلى عدم معرفة الهيثمي ثم الألباني -رحم الله الجميع- بعض الرواة، وهي أسباب وجيهة، لكنّ نفسي استنكرت منه شيئين:

أولهما: أن جعل أكثر من لم يعرفهم الشيخ في كتبه التي طبعت بعد وفاته! وهذه نتيجة قائمة على مقدمة؛ بيَّنها، وهي: أنه لم يراجعها! وأقول: الناظر فيما كتبه الأخوان (صالح اللحام) و (أحمد شكوكاني) في «معجم أسامي الرواة . . .» يجد خلاف هذا؛ فقد تصفحت نحواً من معشار معشار الكتاب، فوجدت نحواً من عشرين موضعاً صرّح الشيخ فيها بقوله: «لم أعرفه» ونحوه! ومعلوم أن ثمة كتباً لم يدخلاها في بحثهما هذا؛ لعدم توفرها لديهما، وأنّ ثمّة كتباً طبعت على عين الشيخ بعد توليفهما هذا، وهذا يقتضي مضاعفة النسبة التي ذكرتها آنفاً! أما الكتب التي طبعت بعد وفاته -رحمه الله- فلم تكن فيها هذه النسبة، كما لا يخفى!!

وكان ينبغي للأخ عبدالكريم -سدده الله- أن يشدَّ النفس، فيحصي إحصاءً دقيقاً، قبل أن يطلق الإطلاق المذكور!!! وكأني به -وفقه الله- يصبو إلى أن نَضْرب على هذه المدرر المنتشرة من حديقة الشيخ الغنَّاء!! ليقول أخيراً: إما أن تغسلوا هذه الكتب، وإما أن تعيدوا صوغها من جديد، ناسبين إيّاها إلى الشيخ، ليصفو لنا ما تصوَّرناه في هذا العالم النحرير، فيصير تصديقاً بعد أن كان تصوراً[1].

وأقول: وهذا -أيضاً- من الغُلَواء التي لا نُحبُّها للشيخ، بل لا يرضى بها هو نفسه -رحمه الله-! فكم كتاباً يمكننا أن يَغْلِبَ على ظنّنا -بَلْهَ نجزم- أن الحافظ ابن حجر قد بيَّضه وارتضاه ليكون منتشراً بين من بعده؟! وكم توليفاً لمن قبله ومن بعده، من أئمة الأمّة: فقهاء، وأصوليين، ومحدّثين،

---

(١) والتصوُّر: هو إدراك المفرد، والتصديق: هو إدراك النسبة بالتركيب، كما قال صاحب «السُّلم المنورق»:

إدْراكُ مفردٍ تصوّراً عُلِمْ

ودَرْكُ نسبة بتصديق وُسِمْ

ومفسِّرين، ونحاة، ولغويين . . . إلى آخر من يعرفهم الأخ -سدده الله- وغيره ممّن تعنَّى الاشتغال بالعلم، وتحقيق الأصول الخطيّة، والاطلاع على كتب التراجم، والفهارس والأثبات وغيرها؟! فهل سمعنا أحداً ممن سبق -عالماً أو متعلماً- يدَّعي هذه الدعوى التي أرادها الأخ -وفقه الله-؟!!!

٧- وأمّا ثاني الأمرين اللذين استنكرتهما؛ فهو قوله -آخراً-: «ولم يعرف الشيخ -رحمه الله- عبدالرحمن بن عتيبة المصري» وعلّق الناشر في الهامش قوله: (صوابه عتبة)، كما في «الإكمال» اهـ. قلت: تعقُّب الناشر على الشيخ جانب فيه الصواب؛ فهو غيره، فسبحان ربي لا يضلُّ ولا ينسى». انتهى كلام الأخ -سدّد الله خطاه-.

وأقول: على كلامه -مع وجازته- ملاحظات:

الأولى: قوله: «ولم يعرف الشيخ . . .»! فيه نظر مبني على الخلاف: هل نقل الناقل -مع سكوته- إقرار أم لا؟! ومحلّ بسطه في المطوّلات المدللات تأصيلاً وتمثلاً؛ فإنّ الهيثمي هو الذي صرّح بعدم معرفته؛ فتنبه.

الثانية: قوله: «المصري» -بالميم- تحريف، وصوابه -كما وقع في جميع المصادر والمواضع المنقول عنها-: (البصري) -بالباء-، وسيأتي تحقيق ذلك، والمقصود أنَّ نَقْلَهُ تحرّف عليه.

الثالثة: أن جَزْمه بأن الناشر جانب الصواب . . . إلى آخر كلامه! عجيب غريب!!

وبيانه: أنّ التخطئة تحتاج إلى تدليل، والأخ المخطِّئ لم يُظهر لنا أي دليل! والحقُّ والحقَّ أقول: لو أنّ هذه الكلمة صدرت من (ابن المديني)؛ لكانت محتاجة إلى دليل؛ فما هكذا -يا أخانا!- تبحث الأمور، وليس على تلك الشاكلة يُخطّأ الناس!! وما الدليل أنه غيره؟! فسبحان ربي لا يضلُّ ولا ينسى!

الرابعة: أن تحقيق المسألة أن يقال: لقد وهمتَ في نسبتك إياه: (المصري)؛ فإنه -كما تقدم- في جميع المصادر: (البصري) -بالباء الموحدة-؛ هكذا وقع في «أوسط الطبراني» (٢١٩٥)، و«مجمع الزوائد» (٨/ ٩٦ = أو ١٢١ - ط.علمية)، و«مجمع البحرين» (٣١٢٤) وغيرها.

ويؤيده أن أبا الشيخ ابن حيان الأصبهاني قد أخرجه بإسناد الطبراني نفسه سواءً في «الأمثال» (رقم: ٢٩)؛ ونسبه (الأُبُلِّي)؛ و(الأُبُلَّة) على أربعة فراسخ من (البصرة)؛ فالرجل (أُبُلِّيٌّ بَصْرِيٌّ)، وإن كانت تحرفت هذه النسبة في «الأمثال»، وعنه في حاشية «شعب الإيمان» (٧/ ٢١١ - ط الرشد)، و«تنبيه الهاجد» (رقم ٦٠) - إلى: (الأَيْلِيِّ)، فقوّى هذا التحريف -أو التصحيف- احتمال كونه (مصريّاً)؛ لأنّ (أيلة) قريب (مصر).

ولكن لا يخفى أنّ إثبات التصحيف في (الأيلي) أقوى وأقرب وأيسر مِن إثبات التّحريف في (المصري)، كما لا يخفى على من تعنّى تحقيق النصوص . . .

الخامسة: أن تحقيق اسم (عتيبة) أن يقال: الاشتباه لا يقع - غالباً- بين (عتبة) و (عتيبة)؛ لتباعد أسنان الحروف عن الاشتباه، وإنما يقع بين (عتيبة) و (عيينة) و (عنبسة)؛ ولذا مايز الأمير ابن ماكولا بين الأوليين في «إكماله» (٦/ ١٢٠-١٢٧)، وغاير بين (عُتْبَة) و (عَتَبة) و (عُتَيّة) و (عِنَبَة) و (غُنَيّة)، في «إكماله» (٦/ ١١٦-١١٩)، ومرادي من هذا أنّ الخلاف الذي رأيته في هذا الاسم لم يقع على (عُتْبة) -بالتكبير- قطُّ، إنما وقع في «الأوسط» و«مجمع البحرين»: (عنبسة)، وهي إلى (عتيبة) أقرب، وهذا ما وقع في «مجمع الزوائد». ووقع في «الفتوحات الربانيّة» (٥/ ٩٥-٩٧): (عيينة)، وقال -نقلاً عن ابن حجر-: «ولولاه لكان الحديث حسناً؛ لأنّ رجاله موثقون؛ إلا هو، فلم أر له ذكراً إلا في هذا الحديث . . . .» إلى آخره.

فالحاصل: أن كونه (عتبة) احتمال غير قائم، وبالله المستعان!

وأما ترجيح صاحب الهامش المذكور كونه (عتيبة)؛ فلأنهم -على اختلاف ضبطهم لها- لم يعرفوه إلا في هذا الحديث، ولم أر في الرواة من هكذا اسمه إلا المترجم في «إكمال ابن ماكولا» (٦/ ١٢٤).

ووجه ترجيح كونه إياه: أنّ من الرواة عنه: (مُطَيَّناً)، وهو من مشايخ الإمام الطبراني؛ فانظر «الأوسط» (رقم ٥٥٥١ - ٥٨٢٧)، والراوي هنا عنه هو (أحمد بن يحيى ابن زهير التستري)، وهو من مشايخ الطبراني، ثم إنّ شيخه ههنا هو: (موسى بن

داود الضَّبيُّ)، من رجال الجماعة سوى البخاري والترمذي، وهو من وفيات (٢١٧هـ) كما في «السير» (١٠/ ١٣٦-١٣٧)، وشيخ المذكور في «الإكمال» هو (أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله بن أبي سيف المدائني)، وهو من وفيات (٢٢٤ أو ٢٢٥هـ) كما في «السير» (١٠/ ٤٠٠-٤٠١).

فتبيّن -بجلاء- أنْ لو كان هناك من يسّمى بهذا الاسم غير المذكور في «الإكمال» فإنّ المذكور ثمة أقربهم إلى أن يكون إياه، فهذا الذي حمل على الترجيح المذكور، مع العزو المزبور، والله أعلم.

السادسة: أنْ لو فرضنا أنْ لم يَكُنْهُ؛ فمن هو؟! وما حاله؟! وأين ترجمته؟!

وخلاصة الأمر: أن طرائق البحث العلمي توجب أن يُعِيدَ الأخ -سدده الله- النظر في أسلوب التخطئة والتصويب، والترجيح والتصحيح، وأن يفيدنا بما يعتقده: مدلَّلاً، معزوّاً، موثقاً! فحينئذٍ يستريح ويريح: إن وافقناه فبها ونعمت؛ وإلا سهل علينا أن نبدأ من حيث انتهى، ولا يكون كمن اشترى عصفوراً في الهواء، أو سمكة في الماء!!

فمن كلمات شيخي أبي عبيدة مشهور آل سلمان -حفظه الله-: أن الأمّة بحاجة إلى من يؤلّف في علم (الأشباه والنظائر)، مطبّقةً على كليات العلوم جميعاً، وأن يلحق الشبيه بالشبيه في العلوم مجتمعة، تأصيلاً وتمثيلاً...

وتطبيقاً لذلك؛ يلزم الباحث أن لا يبيعنا سمكة في الماء، بل إن كان مختصراً ومعتصراً؛ فلا أقل من أن يكون على مبدأ (السلف -أو السلم-)، وهو بيع سلعة معلومة بكيل معلوم، إلى أجل معلوم، بسعر معلوم، والله الموفق لا ربّ سواه.

هذه كلمات أحببت أن أضعها بين أيدي إخواني طلبة العلم -ولا سيّما أخونا (عبدالكريم) الكاتب هذا المقال-؛ ليقبلوا إن كان صواباً، أو يناقشوا إن خطأً، وكلنا معرض لذلك، والموفق السعيد من وُعِظَ بغيره، واستفاد من خطإ سواه.

والحمد لله ربّ العالمين.

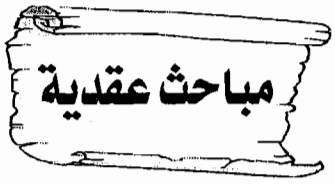

دعـوة التَّوحيد

بقلم: الشيخ العلامة أحمد بن حجر آل بوطامي

غير خافٍ ما لعلم التوحيد من شرف عظيم، وفضل شامخ، ودرجة سامية على سائر العلوم، وكيف لا يكون كذلك، وهو علم أصول الدين، وزبدة رسالات المرسلين، ومن أجله نصبت القبلة، وشرعت سيوف الجهاد، وعليه أسست الملّة.

ولذا كانت حاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة حقيقية، ولا سعادة، ولا نجاة إلا بمعرفة العبد ربه ومعبوده بألوهيّته وأسمائه وصفاته.

إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها، من أولها إلى آخرها، وقد كانت الصحابة -رضي الله عنهم- في عصر الرسول ﷺ يتلقون القرآن منه، ويقرأونه ويتفقهونه، وما أشكل عليهم سألوا الرسول ﷺ عنه، واطمأنوا إلى تفسيره، وائتمروا بأوامره، واسترشدوا بإرشاداته، فأحلوا حلاله، وحرَّموا حرامه، ولم يتجاوزوا حدوده، وآمنوا بما فيه من أسماء الله وصفاته، كما آمنوا بما أخبر الرسول ﷺ عن الله وأسمائه وصفاته وعن الدار الآخرة، وعمّا اشتملت عليه من بعث وحساب، ونعيم وعذاب، وأذعنوا لأوامره ﷺ وائتمروا بها، وانتهوا عما نهاهم، وهم في كل ذلك في غاية الخضوع والامتثال، ونهاية الإيقان والإيمان، مع كمال فهمهم للمبنى وللمعنى من القرآن والسنّة، لم يفرقوا بين آيات الأوامر والنواهي، وبين آيات توحيده -تعالى- ونعوته بأسمائه وصفاته العليا، وزادهم الرسول ﷺ بما وصف لهم

ربهم بالأوصاف التي وصف بها نفسه في كتابه العزيز -الذي نزل به على قلبه الروح الأمين- بما أوحي إليه من ربه، فلكمال فهمهم عن معبودهم وجودة قريحتهم بما نعت به نفسه في كتابه المجيد، وبما وصفه به رسوله، لم يسألوه عن أي الصفات كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة والزكاة والحج، وكما سألوه عن أحوال القيامة والجنّة والنار؛ لأنّ معاني صفاته -تعالى- ثابتة في أذهانهم، وراسخة في قلوبهم، من أجل أن القرآن نزل بلغتهم.

فما كانت هناك حاجة إلى السؤال والخوض في هذا الأمر، ولا عهد أن حصل بينهم جدال ونقاش حول آية أو حديث أو صفة من الصفات، ولو وجد شيء من ذلك لنقل؛ كما نُقلت الأحاديث الواردة عنه ﷺ في أحكام الحلال والحرام، والترغيب والترهيب، وذلك أنّ الفطرة -التي لم تفسدها البيئة المزيجة بالأهواء والضلالات والمجتمع الفاسد- مجبولة على الاعتراف بالله وبأسمائه وصفاته، مع كونه فوق مخلوقاته، ويعلم ما كان وما يكون، وهو السميع البصير، والعليم الخبير.

بل الرسول ﷺ سأل الجارية الخرساء: أين الله؟ فأجابت بما فطرت عليه من علوه على مخلوقاته، وقالت: في السماء.

على هذا الصراط المستقيم والنهج القويم، والجمع بين العقيدة الصحيحة والعمل الصالح والعلم النافع، كان الزمن الذي فيه عاش ﷺ حتى فارق الدنيا، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يقرب العبد إلى ربه في أمور دينه، من أصوله وفروعه، وأمور دنياه وأخراه إلا وقد أمرهم وأخبرهم، حتى قال ﷺ: «تركتكم على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك».

أما عصر الخلفاء: فإنّ الصحابة -رضوان الله عليهم- قد ساروا على ما سار عليه الرسول ﷺ من الاهتمام بما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، وجروا على الأمور الاعتقاديّة على ما كانوا عليه في حياة الرسول ﷺ، ولم يتعرضوا لها بتأويل، ولم يحصل بينهم اختلاف كما حصل في بعض الفروع العلميّة، بل كانوا كلهم متفقين على إثبات ما جاء في كتاب الله وفي سنّة رسوله الصحيحة من أوصاف الله -سبحانه وتعالى- بما يتّفق وذاته

المقدسة، ثم جاء التابعون فسلكوا مسلك الصحابة في أصول الدين وفروعه، ولم يحدثوا بدعة ولا تأويلاً.

حتى في أواخر عصرهم، وفي عصر مروان بن محمد الأموي أظهر الجعد بن درهم رأيه بالقول بخلق القرآن، ونفي الصفات -وهو التعطيل-، وأنه أول من حفظ عنه هذه المقالة في الإسلام، وهو الذي ابتدع بدعة القول في القدر، وتتلمذ عليه الجهم بن صفوان، وأخذ عنه آراءه.

وجاء دور المعتزلة في أوائل الدولة العباسيّة في عصر المأمون، فأخذوا هذه الآراء، وتأثروا بعلم الفلسفة، فزادوا ونقصوا، واخترعوا لهم مذهباً جديداً، وأغروا بعض خلفاء العباسيين كالمأمون والمعتصم، حتى دعوا الناس إلى القول بخلق القرآن، وذاعت هذه المعتقدات الفاسدة، وشاعت بين الأنام، والسياسة تؤيدها من ورائها بالترغيب والترهيب، ونصر السنّة إذ ذاك الإمام أحمد بن حنبل، ووقف موقفاً حميداً، سجل له التاريخ بقلم من النور، وأيّد الله به الدين -كما تأيد الدين أيام الردة بأبي بكر- بالرغم مما نال الإمام من سجن وتعذيب.

ثمّ جاء الإمام أبو الحسن الأشعري، وكان تلميذاً لأبي علي الجبائي المعتزلي فهداه الله، وترك مذهب الاعتزال، وأتى بمذهب مزيج بين عقائد أهل السنّة وعقائد المعتزلة، وكافح المعتزلة وردّ عليهم، وفنّد شبههم، وكلّما اشتدّت عنايته في البحث والدراسة، وسبر منهج السلف الصالح؛ تبيَّن له خطأ ما كان عليه، حتى أنه رجع إلى مذهب السلف تماماً، وألّف كتاب «الإبانة»، وكتاب «مقالات الإسلاميين»، وهما مطبوعان ومتداولان بأيدي الناس في سائر أرجاء العالم، فقد صرّح في هذين الكتابين بأنه على مذهب السلف الصالح، وعلى ما كان يعتقده الإمام أحمد بن حنبل، وأثبت جميع الصفات الواردة لله -تعالى- في القرآن والسنّة الصحيحة، وردّ على الجهميّة والمعتزلة، ونصر السنّة، فرحمه الله رحمةً واسعة.

ولكنّ أكثر الأشاعرة لم يتبعوا الإمام أبا الحسن في عقيدته الصافية النقيّة، وأخذوا بالمبدأ الذي كان عليه الإمام أوائل تركه

مذهب الاعتزال، ولم ينظروا إلى رجوعه في الآخر إلى مذهب السلف الصالح، وتمسكوا بمبدئهم، وألفوا الكتب الكثيرة، وقد انتشرت.

ودان بهذه العقائد أكثر الشافعيّة والمالكيّة وقليل من الحنابلة، كما دانت الحنفيّة بمذهب أبي منصور الماتردي -رحمه الله-.

وقد مضت القرون العديدة والمسلمون المنتسبون إلى أهل السنّة والجماعة لا يعرفون سوى هذين المذهبين، وكانت المدارس في بغداد، وفي القاهرة، وفي الشام، وفي اليمن، وفي الهند، وفي المغرب -وباختصار في سائر أنحاء الدنيا- لا يدرسون إلا في كتب هذين المذهبين، وهي مليئة بالتأويلات الفاسدة، والأقاويل الضعيفة والاصطلاحات المنطقيّة الفلسفيّة، الأمر الذي أدى إلى أن يقف القارئ الذكي ذي الفطرة النيرة موقف الحيرة والاضطراب من هذه المذاهب والآراء والاصطلاحات المختلفة الأجنبيّة، والعبارات المعقدة المنفرة، مما لو أفنى عمره في قراءتها، والبحث فيما حوته، لتخرج منها -بعد ذلك العناء الشديد، والعمر الطويل الذي أمضاه في تلك البحوث في ثنايا تلك الكتب- وهو متزلزل العقيدة، ضعيف الإيمان والإيقان، يتمنى أنه لم يخض في غمار تلك البحوث، وفي بحر ذلك العلم الذي سموه علم التوحيد وعلم الكلام.

والحال أنه ليس فيه من التوحيد الخالص إلا النذر اليسير، بل فيه الشكوك، والحيرة، والتعطيل، والاضطراب، حتى قال بعضهم:

نهاية إقدام العقول عقال

وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا

وغاية دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا

سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

قلنا: قد مضت القرون والناس المنتسبون إلى السنّة لا يعرفون سوى مذهبي الأشعريّة والماتريديّة، وكانوا يعتقدون أنّ ما سوى هذين المذهبين باطل! ومؤد إلى الهلاك أو النار، وصاحبه إما مبتدع أو كافر.

وكان العارفون بمذهب السلف قليلين، لا يمكنهم إظهار ما يعتقدونه، اللهم إلا

للخـواص مـن أصـحابهم، أو يكتبونـه في مؤلفاتهم.

حتى جاء شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني -رحمه الله- في القرن الثامن الهجري، ونشر مذهب السلف بعد تضلعه من العلوم العقليّة والنقليّة، وتحمّل الأذى من خصومه، وقد حبس مراراً حتى توفاه الله وهو مسجون في قلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ.

ثمّ قام تلميذه العلامة ابن القيّم -رحمه الله-، ونشر الدعوة كشيخه، ومن قيام الشيخ بهذا الأمر، وكثرة تآليفه، ونشره بين الناس مذهب السلف وتوحيد العبوديّة، تأثر كثير من الناس، وعرف الحق، ودان به، ولكن كانوا قليلين لا يستطيعون أن يجاهروا بذلك.

حتى جاء القرن الثاني عشر، وظهر الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله-، فقام بدعوته الإصلاحيّة، ونشر التوحيد؛ الألوهيّة، والربوبيّة، والأسماء والصفات، وألّف الرسائل النافعة، وهدى الله به أهل نجد وكثيراً من غيرهم، وجرى ما جرى مما سجله التاريخ[1].

«...وهذا في القرآن في مواضع أُخر: يبيّن فيها أن الرُّسل كلهم أمروا بالتّوحيد بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه، أو اتخاذه إلهاً، ويخبر أن أهل السَّعادة هم أهل التّوحيد، وأن المشركين هم أهل الشّقاوة. وذكر هذا عن عامة الرسل، ويبيّن أنّ الذين لم يؤمنوا بالرسل مشركون.

فعُلِمَ أنَّ التّوحيد والإيمان بالرسل متلازمان، وكذلك الإيمان باليوم الآخر هو والإيمان بالرسل متلازمان، فالثلاثة متلازمة...».

[«مجموع الفتاوى» (٩/ ٢٩)]

(١) ثُمَّ استمر الخير، وزاد العطاء، ولبّى كثير من المسلمين النّداء، وصارت الدّعوة السلفية المباركة ظاهرة ظافرة على يد أشياخنا -رحمهم الله: الألباني، وابن باز، والعثيمين ... حتى يبلغ الكتاب أجله، والأمر محله. (الأصالة).

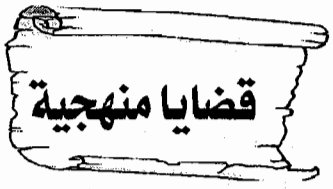

الإذاعة في وجوب اتباع السنّة والجماعة

• بقلم: فضيلة الشيخ أبي أنس محمد بن موسى آل نصر

خصّ الله -سبحانه وتعالى- أتباع السلف الصالح بأن جعل اعتقادهم كلَّه عن اتباع للسنّة والجماعة، وكل ما خالف اعتقادات أهل الأهواء والزيغ والبدع هو شذوذ وخلاف وفرقة.

ولذا سُمّي أهل الحديث والأثر بأهل السنّة والجماعة؛ لجمعهم بين الوصفين، فهم لم يجتمعوا إلا على السنّة.

والسنّة: هي اسم جامع للهدي الذي كان عليه النبيّ ﷺ وأصحابه في الأقوال، والأعمال، والاعتقادات.

وقد كثرت الآيات والأحاديث الآمرة باتباع النبي ﷺ وطاعته.

قال -تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٣-١٤].

وقال رسول الله ﷺ: «فإنّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ بدعة ضلالة»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣)، وغيرهم، عن العرباض بن سارية،

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنّة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنّة، ومن عصاني فقد أبى»[1].

وعن جابر بن عبدالله أنّ رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: «أمّا بعد، فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة»[2].

أما الجماعة: فهم أهل السنّة والجماعة أتباع السلف الصالح من الصحابة والتابعين، المجتمعون على العمل بالكتاب والسنّة، وعلى طاعة أئمتهم وأمرائهم بالمعروف.

قال عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه-: «الجماعة ما وافق الحقّ وإن كنت وحدك»[3].

والحقُّ: ما كانت عليه الجماعة الأولى.

قال العلامة أبو شامة المقدسي: «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة؛ فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المستمسك به قليلاً، والمخالف كثيراً؛ لأنّ الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه -رضي الله عنهم-، ولا تنظر إلى كثرة أهل البدع»[4].

وقد تكاثرت واشتهرت الأحاديث الآمرة بلزوم الجماعة:

قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يَغِلُّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»[5] أي: من تمسك بهذه الخصال للثلاث فقد طهّر قلبه من الخيانة والشر، والحقد، والغش، ومفسدات القلب.

وقال ﷺ: «ليس أحد يفارق الجماعة شبراً إلا مات ميتة جاهليّة»[6].

وصحّحه شيخنا في «السلسلة الصحيحة» (٩٣٧).

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنّة» (١٦٠)، وصحّحه شيخنا -رحمه الله-.

(٤) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص١٩-٢٠).

(٥) أخرجه أحمد (١٣٣٧٤) عن أنس بن مالك، و(٢١٦٣٠) عن زيد بن ثابت، والترمذي (٢٦٥٨) عن ابن مسعود، وابن ماجه (٢٣٠) عن جبير بن مطعم، وصححه شيخنا -رحمه الله-.

(٦) أخرجه البخاري (٧١٥٤ ، ٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩)، وأحمد (١/ ٢٧٥) جميعهم عن ابن عباس.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: خطبنا عمر بالجابية، فقال: أيها الناس! إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا، فقال: «عليكم بالجماعة، وإياكم والفُرقة، فإنّ الشطيان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنّة فليلازم الجماعة»[1].

وعن عرفجة بن شريح الأشجعي -رضي الله عنه- قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر يخطب الناس، فقال: «إنّ الشيطان مع من فارق الجماعة يركض»[2]، وقال ﷺ: «من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربْقة الإسلام من عنقه»[3]، أي: كان كالدابة إذا خلعت ربقتها، وهي الطوق الذي يمسكها، فلا يُؤمن عليها عند ذلك من الهلاك أو الضياع.

وقال ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[4].

ويدخل في التارك لدينه المفارق للجماعة صنفان: المرتدون، ومن خرج عن الجماعة ببدعة أو بغي كالخوارج إلا إذا تابوا وآبوا.

وعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-، قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنّا كنّا في جاهليّة وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ فقال: «نعم»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن»، قال: قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنُّون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر»، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم؛ دعاة على أبواب جهنّم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»، فقلت: يا رسول الله! فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضّ على أصل

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، وصحّحه شيخنا في «صحيح الترمذي» (١٧٥٨).

(٢) أخرجه النسائي (٤٠٢٠)، وصحّحه شيخنا في «صحيح النسائي» (٣٧٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢١٦٠٠)، وأبو داود (٤٧٥٨) كلاهما عن أبي ذر، وصححه شيخنا في «سنن أبي داود»، وأخرجه الترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤) عن الحارث الأشعري، وصحّحه إسناده شيخنا فيه -أيضاً-.

(٤) أخرجه البخاري (١٦٧٨)، وأبو داود (٤٣٥٢) كلاهما عن ابن مسعود.

شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[1].

وعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه-: «أيها الناس! عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في جماعة خير مما تحبُّون في الفُرقة»[2].

والشذوذ الذي وقع فيه فرق الضلال بيّن معناه الإمام ابن حزم الأندلسي بقوله: «هو مخالفة الحق، فكل من خالف الصواب في مسألة ما فهو فيها شاذ»[3].

وبمقدار مخالفة الرجل للسنّة والجماعة يكون شاذاً، كلٌّ بحسبه، فكل من أتى بشيء لم يكن عليه النبي ﷺ ولا أصحابه من بعده فقد شذّ وانفرد.

وقد قال النبي ﷺ: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلم لهم»[4]، وقال ﷺ: «ما بقي شيء يقرّب من الجنّة ويباعد من النار إلا وقد بُيّن لكم»[5].

فمن ثمة، فأي انفراد وإحداث لم يعضده دليل صحيح، فهو مشاقة للرسول ﷺ، واتباع لغير سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين، ولهذا قال الإمام سعيد بن جبير -رحمه الله-: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع»[6]، وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-: «ولكنّا نتبع السنّة فعلاً وتركاً»[7]، وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: «لا يتجاوز القرآن والحديث»[8]، وقال: «لا أحب الكلام في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن رسول الله -عزَّ وجل-، أو عن الصحابة أو التابعين لهم بإحسان، وأما غير ذلك فإنّ الكلام فيه غير محمود»[9].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧)، وابن ماجه (٣٩٧٩) وهو مخرّج في «الصحيحة» (٢٧٣٩).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٥٥) وصححه، ووافقه الذهبي، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٧٦).

(٣) «الإحكام» (٥/ ٨٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٤٤) عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٦٤٧) عن أبي ذر بإسناد صحيح.

(٦) أخرجه البخاري (٥٧٠٧ ، ٥٧٥٢).

(٧) نقله في «فتح الباري» (٣/ ٤٧٥).

(٨) نقله شيخ الإسلام في «الحموية» (ص١٦).

(٩) نقله شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٣١٣).

وقال الإمام الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنّة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفّ عمّا كفُّوا، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم»[1]، وقال: «ندور مع السنّة حيث دارت»[2].

وكتب الخليفة الإمام عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- و -رضي الله عنه- إلى بعض عمّاله: «أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنّة رسوله ﷺ، وترك ما أحدث المُحدثون بعده فيما جرت به سنته وكفوا مؤنته، واعلم أنه لم يبتدع إنسان إلا قدم قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها، فعليك بلزوم السنّة، فإنها لك بإذن الله عصمة، واعلم أنّ من سن السنن قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والتعميق، والحمق، فإنّ السابقين عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وكانوا هم أقوى على البحث ولم يبحثوا»[3].

وهذا كلام متين يكتب بماء العيون، عليه نور العلم والسنّة؛ فتأمله.

ومَن شذّ عن اعتقاد أهل السنّة والجماعة وانفرد فلا يخلو من حالين:

١- أن يكون شذوذه في أصل من أصول الاعتقاد كالإيمان، والقدر، والصفات، فهذا خرج من مسمّى أهل السنّة والجماعة، ويدخل فيه جميع طوائف البدع والضلال كالجهميّة، والمرجئة، والقدريّة، والمعتزلة، والخوارج، والأشعريّة، والماتريديّة، والكلابية، والكرّامية، وغيرهم.

قال الإمام أحمد في أثناء سرده لأصول الاعتقاد: «فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنّة وسبيل الحق»[4].

٢- أن يكون شذوذه في فرع لأصل من أصول اعتقاد أهل السنّة عن تأوّلٍ واجتهاد، فلا يخرج عن مسمّى أهل السنّة والجماعة، بل يكون مخطئاً مخالفاً لهم في هذا الفرع، ولا يتبع على زلته.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه اللالكائي برقم (١١٥)، والبيهقي في «المدخل» (٢٣٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه اللالكائي برقم (٤٧).

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٦١٢)، وابن بطّة في «الإبانة» (١٦٣)، والآجري في «الشريعة» (٥٧٠)، وصحّحه شيخنا -رحمه الله-.

(٤) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ٢٤).

أحاديث، ورجال

• بقلم: الشيخ أكرم بن محمد زيادة

[١٣] أبو العباس الحسن بن سعيد المطوعي شيخ القراء بأصطخر عن مائة وسنتين . « التذكرة » (٣/ ٩٤٧/ ٨٩٧)

[١٤] أبو مالك، زياد بن عِلاقة - بكسر المهملة، وبالقاف- ابن مالك، الثعلبي ـ بالمثلثة، والمهملة ـ الكوفي، ابن أخي قطبة بن مالك، توفي سنة خمس وثلاثين ومائة، وقيل : خمس وعشرين ومائة، وقد جاز المائة، من الثالثة، ثقة، مخضرم، رُمِيَ بالنصب . (ع) (تس، تخ، تم، تق) .

[١٥] الطبراني [٢٦٠ـ ٣٦٠]، هو : أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، اللخمي، الشامي، الطبراني ـ نسبة إلى (طبرية) ـ مسند الدنيا، الحافظ، الإمام، العلامة، الحجة، بقية الحفاظ، حدث عن ألف شيخ أو يزيدون، وكان من فرسان هذا الشأن مع الصدق والأمانة، مولده بعكا في صفر سنة (٢٦٠) ستين ومائتين، وأمه عكاوية، أحد الحفاظ المذكورين، توفي لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة (٣٦٠) ستين وثلاث مائة، وقد استكمل مائة عام، وعشرة أشهر، وصنف «المعجم الكبير» -وهو المسند سوى مسند أبي هريرة فكأنه أفرده في مصنف- و «المعجم الأوسط» ـ على معجم شيوخه يأتي فيه عن كل شيخ بما له من الغرائب والعجائب؛ فهو نظير كتاب «الأفراد» للدارقطني، بَيَّنَ فيه فضيلته وسعة روايته وكان يقول : (هذا الكتاب روحي) فإنه تعب عليه، وفيه كل نفيس، وعزيز، ومنكر ـ وصنف «المعجم الصغير» ـ وهو عن كل شيخ له حديث واحد ـ وصنف أشياء كثيرة وله كتاب «الدعاء»، و كتاب

«المناسك»، وكتاب «عشرة النساء»، وكتاب «السنة»، وكتاب «الطوالات»، وكتاب «النوادر»، وكتاب «دلائل النبوة»، وكتاب «مسند شعبة»، وكتاب «مسند سفيان»، وكتاب «حديث الشاميين»، وكتاب «الأوائل»، وكتاب «الرمي»، وله تفسير كبير وأشياء لم نقف عليها ذكرها الذهبي في «التذكرة» (٣/ ٩١٢/ ٨٧٥).

[١٦] أبو الطيب الطبري [٣٤٨ ـ ٤٥٠]، هو: أبو الطيب، طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمرو، الطبري، ثم البغدادي، القاضي، الإمام، البارع في علوم الفقه، شيخ صاحب «المهذب»، وشيخ الخطيب البغدادي الذي قال عنه: وكان ثقة، صادقا، دينا، ورعا، عارفا بأصول الفقه وفروعه، محققا في علومه، سليم الصدر، حسن الخلق، صحيح المذهب، جيد اللسان، يقول الشعر على طريقة الفقهاء). مولده سنة (٣٤٨) ثمان وأربعين وثلاثمائة، وتوفي سنة (٤٥٠) خمسين وأربعمائة، وهو أبن مائة وسنتين، لم يختل عقله ولا تغير فهمه. عن «تهذيب الأسماء» للنووي (٢/ ٥٢٨ـ٥٢٩/ ٨١٢) بتصرف.

[١٧] أبو بسر، ويقال: أبو صفوان، عبدالله بن بُسر -بضم الموحدة وسكون المهملة- ابن أبي بسر، السلمي، المازني، القيسي، صحابي صغير ولأبويه، وأخويه، عطية، والصماء صحبة -أيضاً-، زارهم النبي ﷺ وأكل عندهم، ودعا لهم، نزل الشام، وسكن حمص، توفي وهو يتوضأ فجأة، سنة ثمان وثمانين، وقيل: ست وتسعين، وله مائة سنة، وهو آخر من مات بالشام من الصحابة، وضع النبي ﷺ يده على رأسه فقال: «يعيش هذا الغلام قرنا». فعاش مائة سنة. أخرجه البخاري في «التاريخ الصغير». وهو غير الصحابي الآخر: عبدالله بن بسر النصري، والذي فَرَّقَ بينه وبين المازني؛ الخطيب، وابن عساكر، وابن عبد البر، وآخرون.(ع)

[١٨] أبو عمرو، ويقال: أبو عمر، عبدالملك بن عمير بن سويد بن جارية، القرشي، ويقال: اللخمي، حليف بني عدي، الكوفي، ويقال له الفَرَسي -بفتح الفاء والراء، ثم مهملة، نسبة إلى فرس له سابق، كان يقال له القِبْطي، بكسر القاف، وسكون الموحدة، وربما قيل ذلك أيضا لعبدالملك- رأى علي بن أبي طالب، وأبا موسى الأشعري، وتوفي في ذي الحجة، سنة ست وثلاثين ومائة، وقد جاز المائة بثلاث

سنين، من الرابعة، ثقة فصيح، عالم، تغير حفظه، وربما دلس. (ع) (تس، تم).

[١٩] أبو جعفر، عمر بن عاصم، الواسطي، روى عن سيف بن عمر، وروى عنه أسلم الواسطي، وقال: «قد جاز المائة».

[٢٠] أبو زيد، عمرو بن أخطب ابن رفاعة، الأعرج، الأنصاري الخزرجي، نزيل البصرة، صحابي مشهور بكنيته، غزا مع النبي ﷺ ثلاث عشرة مرة، ومسح رأسه وقال: «اللهم جمله». وقد جاوز المائة. (م،٤).

[٢١] عويمر بن أشقر بن عدي بن خنساء بن مبذول، الأنصاري المازني، المدني، البدري، الصحابي الجليل، قليل الحديث، وحديثه في الأضاحي فيمن ذبح قبل انصراف رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- من الصلاة، وأمره بإعادة الذبح. (ق)

[٢٢] أبو هاشم، قباث بن رزين بن حميد بن صالح بن أصرم اللخمي، المصري، إمام مسجد مصر، وكان يقرئ القرآن في الجامع، مولده قبل الخمسين، وقيل: سنة أربع، أو: خمس، أو: ست وستين، وتوفي سنة ست وخمسين ومائة، لا بأس به. (س)، (تس).

[٢٣] أبو بشير، قيس بن عبيد بن الحرير بن عمرو، وقيل عمر، ابن عبيد، الأنصاري، المازني، المدني، صحابي شهد الخندق، واستشهد باليمامة، وقيل: توفي بعد الستين، بعد الحرة، وقد جاز المائة، مشهور بكنيته، وقيل: هما اثنان. (خ، م، د، س).

[٢٤] أبو العلاء، اللجلاج العامري، لعله: صاحب معاذ بن جبل، تابعي كبير، عن: عمر. وعنه: أبو الورد بن ثمامة. وقد نُسبَ في ترجمة الأخير من «تهذيب الكمال» فقيل: (العامري)! وهو بعيد، وقد فرق الحافظ في «الإصابة» بين (العامري)، وهو: صحابي، جليل توفي وهو ابن عشرين ومائة سنة، خمسين في الجاهلية، وسبعين في الإسلام، وبين صاحب الترجمة الذي ذكره في «التعجيل» وذكره ابن حبان قبله في «الثقات». (تم)

[٢٥] محمد بن أبي البركات بن أبي الحسن بن أحمد، الهمذاني - بفتح الميم والمعجمة - الصوفي، البطائحي، شيخ مُعَمَّر، مولده سنة ست وأربعين وخمسمائة، وقيل: سنة خمسين وخمسمائة، جاور بمكة، وجاوز المائة، وتوفي بها سنة ست وستين وستمائة،

صوفي، دَعِيٌّ، شَرِهٌ، مذموم . « لسان الميزان » (٥/ ٩٢/ ٢٩٩)

[٢٦] أبو عبد الله، محمد بن خفيف بن اسفكشار، الحنيف، الظريف، الشيرازي، شيخ الصوفيه، الإمام، العارف، الفقيه، الزاهد، القدوة، ذو الفنون، لقي الأكابر، والأعلام، وكان شيخ الوقت، حالا، وعلما، وكان من أبناء الأمراء، وترك كل شيء، ولم تجب عليه زكاة الفطر (٤٠) سنة، مولده قبل سنة (٢٧٠) السبعين ومائتين، وتوفي سنة (٣٧١) إحدى وسبعين وثلاثمائة، وقد جاوز المائة، وقيل : بلغ خمساً وتسعين سنة فقط، له : « الفصول في الوصول »، و «التحقق والتثبت في الوصول» . عن : «الحلية» (١٠/ ٣٨٥)، و «السير» (١٦/ ٣٤٢ - ٣٤٤) . بتصرف .

[٢٧] والمسند الكبير أبو عبد الله محمد بن أبي زيد بن حمد الكرانى الأصبهاني الخباز، وله مائة سنة كاملة .

[٢٨] أبو عبدالله، ويقال: أبو بكر، محمد بن عبدالله بن عمرويه الصفار، ويعرف (بابن علم)، مولده سنة ثمان وأربعين ومائتين، وتوفي يوم الخميس، لثلاث خلون من شعبان، سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، وكان قد جاوز المائة بسنة واحدة، قال الخطيب البغدادي: «ولم أسمع أحدا من أصحابنا يقول فيه إلا خيراً» .

[٢٩] أبو سلمة، محمد بن عبدالله، وقيل: محمد بن عمر بن عبدالله بن زياد، الأنصاري، البصري، مشهور بكنيته، جاوز المائة، من الثامنة، كذبوه. (فق)

[٣٠] محمد بن عبد المؤمن، القرطبي، ابن بنت أصبغ بن مالك، توفي في المحرم، سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، وقد جاوز المائة.

[٣١] محمد بن كامل العماني البلقاوي الأردني حدث عن أبان العطار بعد السبعين والمائتين وزعم أنه بن مائة وعشرين سنة، لا يعتمد أحد عليه، روى عنه محمد بن محمد البخاري، مجهول . «لسان الميزان» (٥/ ٣٥٠/ ١١٥٠).

[٣٢] أبو الحسن، محمد بن محمد بن علي، العبيدي، الشريف، الحسيني العقدي، النسابه، المُعَمِّر، رافضي جلد، متهم في دينه لقي صاحب الأغاني أبي الفرج، توفي في رمضان سنة ست، وقيل: سنة سبع، وثلاثين وأربعمائة، وقد جاز المائة.

[٣٣] ومسند الوقت، الرئيس، أبو الفرج، مسعود بن الحسن بن القاسم بن

الفضل، الثقفي، الأصبهاني، توفي في رجب سنة اثنتين وستين وخمسمائة، عن مائة سنة. « تذكرة الحفاظ » (٤/ ١٣١٨).

[٣٤] أبو معاوية، نوفل بن معاوية ابن عروة بن صخر الديلي -بكسر المهملة، وسكون التحتانية- وقيل: الدؤلي، وهي: غير الديلي، وقيل: الكناني، صحابي جليل من مسلمة الفتح وكان موضع مشاورة النبي ﷺ في غزوة الطائف، قليل الحديث، وهو خال عبدالرحمن بن مطيع، وعاش إلى أول خلافة يزيد بن معاوية، قيل: عاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين أخرى، وقد جاز المائة بعشرين سنة. (خ، م، س) (تخ).

[٣٥] الهيثم بن رزيق، وقيل بن زريق، المالكي، من بنى مالك بن كعب بن سعد، من الثامنة، فما فوقها، عاش مئة وسبع عشرة سنة، سكت عنه ابن أبي حاتم، وترجمه العقيلي في «الضعفاء الكبير»، وقال بعد أن ساق حديثاً من طريقه: «لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به».

[٣٦] أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق بن تحية، الواسطي، نزل بغداد وتوفي بها، بالجانب الشرقي، في سوق الثلاثاء، سنة ست وثمانين ومائتين، وكان قد جاز المائة بائنتي عشرة سنة، وحدث بها بأربعة أحاديث، حُفِظَ منها ثلاثة مجهول. روى عن: يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس. وروى عنه: بكر بن أحمد بن يحيى وجعفر بن محمد بن الحكم المؤدب، الواسطي.

[٣٧] أبو الهيثم، يعلى بن الأشدق ابن جراد بن معاوية، العقيلي الحراني، الجزري، الرَّقي، وأصله أعرابي من نواحي الطائف، كان حيا في دولة الرشيد، وكان قد زاد عن العشرين ومائة سنة، وكان يدور في الأسواق يسأل الناس، من الخامسة، فما دونها، قال البخاري: « لا يكتب حديثه». وقال ابن عدي: «روى عن عمه عبدالله بن جراد، وزعم أن لعمه صحبة فذكر أحاديث كثيرة منكرة! وهو، وعمه غير معروفين». وقال أبو زرعة الرازي: « ليس بشيء لا يصدق». وقال ابن حبان: « وضعوا له أحاديث، فحدث بها ولم يدر». (تمـ).

[٣٨] ابن بريدة، هو: أبو سهل، عبدالله بن بريدة بن الخصيب الأسلمي،

المروزي، قاضي مرو، أخو سليمان بن بريدة، وكانا توأمين، توفي سنة خمس ومائة، وقيل: سنة خمس عشرة ومائة، وله مائة سنة، من الثالثة، ثقة. (ع)، (تس، تخ، تهـ).

[٣٩] ابن الغسيل، هو: أبو سليمان، عبدالرحمن بن سليمان بن عبدالله بن حنظلة، الأنصاري، الأوسي، المدني، المعروف، بابن الغسيل، والغسيل هو جده، حنظلة بن أبي عامر الراهب، غسلته الملائكة يوم أحد؛ لأنه استشهد يومئذ وهو جنب، رأى أنس بن مالك، وسهل بن سعد الساعدي، توفي سنة اثنتين وسبعين ومائة، وهو ابن مائة وست سنين، من السادسة، صدوق، فيه لين . (خ، م، د، تم، ق) (تس، تهـ).

[٤٠] أبو مخزوم، هانئ، المخزومي، والد مخزوم بن هانئ، يقال: أدرك الجاهلية، وعاش نحو خمسين ومائة سنة، وهو مُعَمَّر، مختلف في صحبته. (تخ).

قال القضاعي:

«... وكلَّما طال عُمُره استَلذ الطَّاعة، واستَكره المعصية، وكلَّما كان العُمُر أطول؛ كانت الفضائل أَرسخ وأَقوى ...»

[«فيض القدير» (٤/ ١٤٠)]

مَن هو مؤلف «عون المعبود» ؟

● بقلم: فضيلة الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

إنّ خلطاً، وخبطاً، وغموضاً لَحِقَ نسبة كتاب «عون المعبود» -ذلك الشرح الذي لا نظير له في الشروح المطبوعة لكتاب مهم غاية مِن دواوين السنّة المشهورة، وهو «سنن أبي داود»-، وقد عملت -ولله الحمد- على خدمة «العون» خدمة علميّة، ليس هذا هو موطن الكلام عليها، ومِن العقبات التي صادفتني أثناء العمل، وشعرتُ بأنّ طلبة العلم بحاجة إليها:

تحرير نسبة هذا الشرح، ولمن هي؟

أهي -كما هو مشهور معلوم- لأبي الطيب شمس الحق عبد العظيم آبادي أم لشقيقه -كما هو مثبت على بعض أجزاء الطبعة الهنديّة الحجريّة-، وشقيقه هو أبو عبد الرحمن شرف الحق، الشهير بمحمد أشرف؟ أم لمجموعة مِن العلماء كما قال العلامة السلفي محمد تقي الدين الهلالي؟

ولنبدأ البيان بتفصيل مِن خلال إيراد نص يظهر منه الباعث على تأليف الكتاب:

*** الباعث على تأليف الكتاب:**

صرّح المؤلف بسبب تأليفه للكتاب، فقال في «ديباجته»: «والباعث على تأليف هذه الحاشية المباركة أنّ أخانا الأعظم الأمجد أبا الطيب شارح «السنن» ذكر غير مرّة في مجلس العلم، والذكر أن شرحي «غاية المقصود» يطول شرحه إلى غير نهاية، لا أدري كم تطول المدّة في إتمامه، والله يعينني، والآن لا نرضى بالاختصار، لكن الحبيب المكرّم الشفيق المعظم، جامع الفضائل والكمالات، خادم سنن سيّد الكونين الحاج تلطف حسين العظيم آبادي مُصرٌّ على تأليف الشرح الصغير سوى «غاية المقصود»، فكيف أردُّ كلامه! فأمرني أخينا[1] العلامة الأعظم

(١) كذا في الأصل! وصوابه: «أخونا»، وصرّح العلامة الشيخ حسين بن محسن الأنصاري في تقريظه للكتاب (٧/ ٣٩٦) بسبب آخر، فقال ما نصُّه: «والموجب لاختصاره: قلّة همم الطالبين عن حفظه ومطالعته، فاقتضى الحال اختصار ذلك «الشرح الكبير» ليتيسر حفظه ومطالعته على الطالبين والناظرين»، وكذلك قال القاضي يوسف حسين الخانفوري في تقريظه (٧/ ٣٩٧)، ونصّ كلامه: «... ألف حاشية «حاشية سنن أبي داود» المسماة بـ«عون المعبود» اختصره من شرح «السنن» المسمّى بـ«غاية المقصود» الذي كان اثنين وثلاثين

الأكرم أبو الطيب -أدام الله مجده- لإبرام هذا المرام، فاعتذرت كثيراً، لكن ما قبل عذري، وقال: لا بد عليك هذا الأمر، وإني أُعينك بقدر الإمكان والاستطاعة، فشرعتُ متوكلاً على الله في إتمام هذه «الحاشية»، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، أستغفر الله ربي من كل ذنب وأتوب إليه»[1].

*** من مؤلف «عون المعبود»؟**

يظهر من الكلام المذكور آنفاً أن مؤلف «عون المعبود» هو شقيق صاحب «غاية المقصود»، فهو ليس لأبي الطيب شمس الحق، وإنّما لشقيقه أبي عبدالرحمن شرف الحق محمد أشرف، ويظهر هذا جليّاً لمن يقرأ الديباجة من أوّلها.

قال مبيِّناً منهجه في التأليف -وتظهر منه العلاقة بين «العون» و «الغاية»-:

«أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى الله -تعالى- أبو عبدالرحمن شرف الحق الشهير بمحمد أشرف بن أمير بن حيدر الصديقي العظيم آبادي -غفر الله لهم وستر عيوبهم-: إن هذه الفوائد المتفرِّقة، والحواشي النافعة على أحاديث «سنن الإمام الهمام المجتهد المطلق أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني -رضي الله -تعالى- عنه»، جمعتها من كتب أئمة هذا الشأن -رحمهم الله تعالى-، مقتصراً على الإطالة والتطويل إلا ما شاء الله -تعالى-، وسميتها بـ«عون المعبود على سنن أبي داود»، تقبل الله مني؛ المقصود من هذه «الحاشية» المباركة الوقوف على معنى أحاديث الكتاب فقط، من غير بحث لترجيح الأحاديث بعضها على بعض إلا على سبيل الإيجاز والاختصار، ومن غير ذكر أدلة المذاهب المتبوعة على وجه الاستيعاب، إلا في المواضع التي دعت إليها الحاجة، أعان الله -تبارك وتعالى- على إتمام هذه الحواشي، ونفع بها إخواننا أهل العلم وإياي خاصّة، وأمّا الجامع لهذه المهمات المذكورة من الترجيح والتحقيق، وبيان أدلّة المذاهب والتحقيقات الشريفة، وغير ذلك من الفوائد الحديثيّة في المتون والأسانيد وعللها «الشرح الكبير» لأخينا العلامة الأعظم الأكرم أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي المسمّى بـ«غاية المقصود في حل سنن أبي داود» وفّقه الله -تعالى- لإتمامه كما وفّقه لابتدائه، وهو شرح كبير جليل عظيم الشأن، وشارحه العلامة، صرف همّته إلى إتمامه والمشغول فيه بحسب الإمكان، جزاه الله -تبارك وتعالى-، وتقبَّل منه، وجعله خير العقبى، وإني استفدت كثيراً من هذا الشرح المبارك، وقد أعانني شارحه في هذه «الحاشية» في جل من المواضيع، وأمدَّني بكثير من المواقع، فكيف يكفر شكره؟!»[2] اهـ.

ففي هذا تصريح بأنّ «العون» ليس لأبي الطيب، ونصيبه فيه من التأليف الإعانة فقط،

جزءاً، فلما رأى همم الطالبين فاترة، وقوى حفظهم قاصرة، اختصره حتى جعله أربعة أجزاء غير مخل بالمعنى، فكأنه هو الأصل المطوّل».

(١) «عون المعبود» (١/ ٥).

(٢) «عون المعبود» (١/ ٥).

ويعكِّر على هذا ما جاء عقيب النقل الأول الذي وقع فيه التصريح بباعث تأليفه للكتاب، قال: «وأما إسناد هذا الكتاب المبارك مني إلى المؤلف الإمام المتقن (يريد: أبا داود)، فمذكور في «غاية المقصود شرح سنن أبي داود» لا نعيد الكلام بذكره . . .»، و«غاية المقصود» لأبي الطيب من غير خلاف، وهذا النقل يشعر أنه مؤلف «العون» -أيضاً-.

وهذا يقودنا إلى جمع العبارات الواردة في الكتاب التي على هذا النحو، وفحصها، والنظر فيها، فلعلها تسعف في تحديد المؤلف على وجه اليقين، وقمت بذلك، ولم أظفر بطائل، إذ في بعض هذه العبارات ما يقوّي أن يكون المؤلف أبا الطيب شمس الحق إلى درجة القطع! وفي بعضها الآخر ما يقوّي أن يكون شقيقه أبا عبدالرحمن شرف الحق محمد أشرف، إلى درجة القطع -أيضاً-! وأسوق لك -أخي القارئ- بعضاً من هذا، وبعضاً من ذاك.

*** عبارات في الكتاب تؤكد أن المؤلف: أبا عبدالرحمن شرف الحق محمد أشرف، وليس أبي الطيب شمس الحق:**

أولاً: جاء على صفحة عنوان (المجلد الأول) من الكتاب: «نحمد الله العزيز المسجود[1] على ما وفّقنا لطبع الكتاب المحمود، الذي حشاه العالم الفاضل المودود، الشهير بمحمد أشرف الذي هو في عبادة ربّه ركوع سجود»!

ثانياً: جاء في (خاتمة) هذا المجلد: «قال العبد الضعيف: نحمد الله ونشكره على أن وفقني لإتمام (الجزء الأول) من «عون المعبود على سنن أبي داود» المنتقى والملخّص من «غاية المقصود»، وهذا آخر كتاب (الصلاة)، ويتلوه -إن شاء الله تعالى- (الجزء الثاني) منه، وأوّله كتاب (الزكاة)، اللهمّ تقبّله منّي، واغفر لي ولوالديَّ، ولأخي أبي الطيب الذي أعانني على إتمام هذا الكتاب، وترحم عليهم، وصلّى الله -تعالى- على خير خلقه محمد وآله وأصحابه أجمعين»[2].

ثالثاً: جاء في خاتمة (المجلد الثاني) ما نصّه: «قال العبد الفقير محمد أشرف: وجد في بعض نسخ المتن بعد حديث أبي سعيد . . .» إلى قوله: «وإنّا نحمد الله ونشكره على إتمام (الجزء الثاني) من «عون المعبود على سنن أبي داود» ونعوذ بالله من طغيان القلم وزلّته وما ﴿أُبَرِّئُ نفسي إنَّ النفس لأمّارة بالسُّوء﴾ [يوسف:٥٣]، اللهم اغفر لي ولوالديّ، ولأخي أبي الطيب محمد الذي أعانني على إتمام هذا الجزء، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، آمين»[3].

فهذه العبارات فيها التصريح بأنّ المؤلف هو الشيخ محمد أشرف، وأعانه على ذلك شقيقه أبو الطيب، وفَهِم هذا -قديماً

---

(١) فعل (سجد) متعدٍّ بحرف جر، فالصواب قوله: (المسجود له)، والعبارة فيها تكلّف، ولعلّه من باب المحافظة على السجع!

(٢) «عون المعبود» (٢/ ٥٤٢).

(٣) «عون المعبود» (٤/ ١٦٩).

وحديثاً- غير واحد، وإليك ما وقفت عليه من ذلك:

قال بَلَديُّ المصنف الشيخ أحمد السهارنفوري في «بذل المجهود في حل أبي داود» (١/ ٣٩) مقارناً بين «غاية المقصود» و«عون المعبود» مصرحاً بأن الأول لأبي الطيب والثاني لمحمد أشرف: «كثيراً ما كان يختلج في صدري أن يكون على «سنن أبي داود» شرح يحل مغلقاته، ويكشف معضلاته ويذلل صعابه، ويسهل مشكلاته، ولكني كنت أحقر نفسي أن أتحمل هذا الحمل الثقيل، وأكون في هذا المضيق دخيلاً، حتى رأيت جزءاً واحداً من الشرح الذي ألّفه الشيخ أبو الطيب شمس الحق المسمّى بـ«غاية المقصود» فوجدته لكشف مكنوزاته كافلاً، وبجمع مخزوناته حافلاً، فلله درّه، قد بذل فيه وسعه، وسعى سعيه، إلا أنه في بعض المواضع أخذته الحدّة، فاستطال على مكانة إمام الأئمة أبي حنيفة النعمان[1]، عليه

(١) ليس كذلك! لم يستطل أبو الطيب على الإمام أبو حنيفة، ولم ينل منه بالقدح والطعن، وإنما رجّح غير اختياراته في كثير من الأحايين انتصاراً للدليل، هكذا وقع في القسم المطبوع من «الغاية» وفي جميع «العون»! ولا أتجاوز الحقيقة إن قلت: إن سبب تأليف «بذل المجهود» نصرة لمذهب الحنفية، ولصرف أنظار الطلبة عن «العون»، تماماً مثل ما فعل صاحب «فتح الملهم» مع «شرح النووي على صحيح مسلم»، ثمّ وجدتُ الأستاذ أبا الحسن الندوي -رحمه الله- يقول عن باعث صاحب «البذل» من تأليفه هذا: «عدم وجود شرح وافٍ لهذا الكتاب الجليل بقلم عالم حنفي يجمع بين التبحّر في الحديث، والتضلّع في الفقه . . .»، قال: «وذلك ما أهمّ المؤلف، وشغل خاطره»، وردّد هذا المغمز الشيخ محمد يوسف البنوري -غفر الله له- فقال وهو يتكلّم عن «غاية المقصود»: «ولم يؤلف منه إلا جزء واحداً، ولو تم لكان شرحاً جيداً، لولا فيه إساءة أدب بأئمّة الدين!!» و«عون المعبود» -مع عدم إصابته في كثير من المشكلات- وضع نصب عينيه الرد على الحنفية»!! قاله في «كلمة عن «سنن أبي داود» وشرحه «بذل المجهود» في غاية الوجازة) نشرت في آخر «بذل المجهود» (٢٠/ ٢٤٩)، ثمّ ظفرت لأبي الطيب برسالة قرّر فيها خلاف ما قاله بعض الحنفية، وهي «التحقيقات العلى بإثبات صلاة الجماعة في القرى» فلم أجد فيها مطعناً ولا كلمة نابية في حقّ الإمام (أبو حنيفة)، كيف يقع منه ذلك وهو القائل في «رفع الالتباس» (ص١٥٤-١٥٥) عن الإمام بعد كلام: «غايته أن نقول: كما أن وجود فضائله الجمّة لا يستلزم عصمته، كذلك بعض زلاته لا يجوز إساءة الأدب في حضرته، فإنه مجتهد، والمجتهد يخطئ ويُصيب، ويزل ويثبت»، وقال بعد تقرير أنّ البخاري ردّ في «صحيحه» على أبي حنيفة ولم يسمه، وإنما قال عنه: «بعض الناس»، قال (ص١٥٥): «ألم تنظر إلى صنيع الإمام البخاري -رحمه الله تعالى-؟ فإنه وإن حثّه على تلك التعاريض حمية السنّة وانتصار كتاب الله، لكنه كيف ذهب في هذا المذهب ذهاب الأدب! حيث لم يصرح باسمه الشريف، وعرّض بلفظ «بعض الناس»، كي يعلمه من يعلمه، ولا يعلمه من لا يعلمه.

سجال الرحمة والغفران، ومع هذا فلم يشع منه إلا هذا (الجزء الأول)، والأجزاء الباقية كأنها سالت بها البطاح، أو طارت بها أدراج الرياح».

ثم رأيت «عون المعبود» للشيخ محمد أشرف كان مختصر «غاية المقصود» فلم يقع في القلب موقعه، ولم يبلغ مبلغه، وهذا الشرح قاصراً عن أن يُسمّى شرحاً، مع أنّ مؤلفه تقلّد «غاية المقصود» في الحدة، واختصر شرحه فوقع فيه ما وقع من الخلل والخطل، والله يتجاوز عنا وعنه».

قال أبو عبيدة: وقع في كلام الشيخ السهارنفوري -رحمه الله تعالى- تجاوزاتٍ ومجازفات[1] وزلات، فدعواه أنّ المصنف استطال على الإمام أبي حنيفة دعوى ليست بصحيحة، وكلمة (استطالة) غير مليحة، وهذا الصنيع ليس من صنيع المحققين البارعين أصحاب التقريرات الرجيحة!

وقوله عن «غاية المقصود»: «لم يشع منه إلا الجزء الأول، والأجزاء الباقية كأنها سالت بها البطاح، أو طارت بها أدراج الرياح» غير دقيق، بل زعم بعضهم[2] أن شمس الحق لم يؤلف منه إلا الجزء الأول، وزعم آخر[3] أنّ السهارنفوري كان عنده «غاية المقصود» كاملاً، وأخذ شرحه «البذل» منه، وهذا كلّه خطأ، ولبيانه مقام آخر -إن شاء الله تعالى-.

ومن الخطأ: الحطّ من قيمة «العون»، والزعم بأنه قاصر عن أن يسمّى (شرحاً)! وهذا من الظلم والتجنّي، وسببه التّعصُّب المذهبي! والذي يهمني هنا أنّ القائم عند السهارنفوري أن صاحب «العون» ليس أبا الطيب وإنّما أخوه محمد أشرف!

وهكذا زعم آخرون، منهم:

= وهكذا صنيع من يدعي نصرة السنّة أن لا يتفوّه في حقه بسوء أدب، فلا يجوز لأحد أن يترخص من ذلك أن يقول شيئاً في حقّه، ما لم يرزق من إخلاص النيّة وحسن الأدب، كما رزق الإمام البخاري -رحمه الله-، كيف وهما أسدان يقتتلان! فما للثعالب والذئاب أن يزدحوا فيه؟ أو هما بطلان قويان يحاربان! فما للنساء والصبيان أن يدخلوا فيه؟ إن لم يتنكّبوا هلكوا ويقتلوا».

(١) نعم، هي كذلك، ويتأكد لك ذلك إذا علمت أنه قال فيه (١/ ١ -ط الأولى) عن صنيع المحدث شمس الحق في «غاية المقصود»: «استخفه الشيطان، واستطال اللسان على إمام الأئمة أبي حنيفة النعمان، عليه سجال الرحمة والغفران»!

(٢) هو الشيخ محمد يوسف البنوري، إذ قال في كلمة له أودعها آخر «بذل المجهود» (٢٠/ ٢٤٩): «و«غاية المقصود» من شروح الهند، ولم يؤلفْ منه إلا جزءٌ واحداً».

(٣) زعم أحد الكتاب في مقال نشره في مجلة «معارف» أنّ الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ت ١٣٤٦هـ) اشترى أجزاء «غاية المقصود» بعد وفاة المحدث العظيم آبادي من ورثته، ولخصها كلها في كتابه «بذل المجهود» وهذا كذب له قرون، ودعوى باطلة، والأدلّة على تفنيدها لائحة، وقد بيّنتها -ولله الحمد- في مقدمتي لتحقيق «عون المعبود» والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

* يوسف إلياس سركيس الدمشقي:

ذكر في كتابه «معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة» (٢/ ١٣٤٤) تحت عنوان (العظيم آبادي - محمد أشرف) [١]: «أبو عبدالرحمن شرف الحق الشهير بمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي العظيم آبادي: «عون المعبود على سنن أبي داود» جزء ٤، هند ١٣١٣هـ».

وكان قد ذكر فيه (١/ ٣١٠) تحت «سنن أبي داود» ما نصّه: «جزء ٤ مع شرحها «عون المعبود» لمحمد أشرف العظيم آبادي، هند ١٣٢٣هـ».

* عمر رضا كحالة:

اعتمد على ما في «فهرس التيموريّة» (١/ ٥٢٣) إذ ترجم لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي العظيم آبادي أبو عبدالرحمن، فاقتصر على قوله في «معجم المؤلفين» (٩/ ٦٣) عنه: «محدث، من آثاره: «حاشية عون المعبود على سنن أبي داود» ولم يؤرخ ميلاده ووفاته، وإنما قال: «كان حيّاً قبل ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م»[٢].

(١) سبقه في الصفحة نفسها تحت عنوان آخر (عظيم آبادي، شمس الحق) ما نصّه: «أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي، نسبته إلى عظيم أباد من بلاد الهند: «إعلام أهل العصر بأحكام ركعتي الفجر» (حديث)، ومعه . . . «القول المحقق» لشمس الدين الآبادي دهلي . . . (ص١٥٤ و ٨)».

(٢) لم يذكر سنة مولده كما أنه لم يذكر سنة وفاته، وهكذا صنع الزركلي في «الأعلام» (٦/ ٣٩)، لكنه قال عن وفاته: «بعد ١٣١٠هـ - ١٨٩٢م» وذكر في ترجمته جملة من كتب أبي الطيب؛ منها: «التعليق المغني على سنن الدارقطني»، «عون الجمان»، «القول المحقق»، «المكتوب اللطيف»، وهذه كلّها لأبي الطيب بيقين من غير ظنٍّ ولا تخمين، ونسب له منها «عون المعبود» -أيضاً-! ولكن الزّركلي نفسه ترجم في «الأعلام» (٦/ ٣٠١) لشمس الحق أبي الطيب، وقال: «وصنّف كتباً منها: «عون المعبود - ط» في شرح سنن أبي داود، أربعة مجلدات، لم ينسبه إلى نفسه في مقدمته، ونسبه إلى أخٍ له يدعى شرف الحق»، وذكر له - أيضاً- الكتب السابقة التي أوردها في ترجمة أخيه عدا «عقود الجمان» و «القول المحقق»، وزاد غيرها.

إذاً، الاعتماد في إثبات النسبة وعدمها على الزّركلي غير صحيح، إذ هو مضطرب! وأمّا بالنسبة لسنة ميلاد شرف الحق ووفاته، فقد ذكرها صاحب «نزهة الخواطر» (٨/ ١٣٥)، فأفاد أن مولده في ٣/ ربيع الثاني/ ١٢٧٥هـ، ووفاته في ١٥/ محرم/ ١٣٢٦هـ، ولم يذكر له من المؤلفات سوى «خلاصة المرام في تحقيق القراءة خلف الإمام»، وهذا لم يذكره الزّركلي في ترجمته.

وأخيراً أود التنبيه على أمور:

الأول: اضطراب غير واحد -بناءً على ما سبق ويأتي- في نسبة «العون»، وأضرب مثلاً على ذلك: بالشيخ عبدالفتاح أبو غدة -رحمه الله تعالى-، فإنّه علّق على قول التّهانوني « . . . في «عون المعبود شرح سنن أبي داود» لبعض فضلاء الهند» ما نصّه: «هو شمس الحق العظيم آبادي»، وكذا لم يصرّح باسمه في تعليقه على «توجيه النظر» (١/ ٢٦٥)، وصرّح

نبّه في فهارسه (٢/ ٩٧٢)، بينما نسبه في تعليقه على «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» (ص٤١) لشرف الحق العظيم آبادي!!

وكذلك ما حصل مع الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي، فإنه نسبه في كتابه «المسلمون في الهند» (ص٤٢) إلى محمد أشرف، وسيأتي التصريح عنه بأنه على الحقيقة لأبي الطيب شمس الحق!

الثاني: أشار الزركلي في ترجمة (محمد أشرف) إلى أن «المكتوب اللطيف» مخطوط، بينما أعاد ذكره لشمس الحق، وأشار إلى أنه مطبوع.

الثالث: نبّه الأستاذ محمد بن عبدالله الرشيد في «الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام» (ص١٢٠) إلى خطأ الزّركلي السابق.

الرابع: لم يصرّح التهانوني باسم صاحب «العون» فقال كما سبق: «البعض فضلاء الهند»! ولكنه قال في مجلة «معارف» مايو ١٩٤٤م ما نصّه: «إنّ العلامة شمس الحق العظيم آبادي ألّف «عون المعبود» وأخوه الأكبر العلامة أبو الطيب كتب «غاية المقصود»!! وهذا خطأ محض، ولذا تعقبه الأستاذ محمد عزيز شمس في «حياة المحدث شمس الحق وأعماله» (ص١٦٦) فقال: «وأنت تعلم أن أبا الطيب كنية المحدث العظيم آبادي فما معنى هذه العبارة؟ وكأنّ الكاتب لا يعلم عن العظيم آبادي شيئاً».

قال أبو عبيدة: ومثله -بل يزيد عليه- ما قاله الأستاذ عبدالله بن صالح البراك في كتابه «الإمام أبو داود السجستاني وكتابه السنن» (ص٧١) عند ذكر (الشروح)، قال: «وشرحه الشيخ العلامة شمس الدين العظيم آبادي المتوفى سنة (١٣٢٩هـ) وسمّاه «غاية المقصود»

وترجم لأبي الطيب فقال فيه (١٠/ ٧٢) ما نصه: «ومحمد شمس الحق العظيم آبادي الهندي أبو الطيب محدّث، ولد في ذي القعدة، من آثاره: شرح كبير على «سنن أبي داود»، سمّاه «غاية المقصود في حل سنن أبي داود»، ولم يزد عليه، وأرخ ميلاده ١٢٧٣ هـ-١٨٥٧م» وبيّض لوفاته!

ومن صنيعه يظهر أنه يرى أن «العون» ليس لأبي الطيب، وإنما لأخيه!

وبناءً على جميع ما مضى، قلتُ في كتابي «كتب حذّر منها العلماء» (١/ ٥٩) عند الكلام على (كتب منحولة): «عون المعبود شرح سنن أبي داود» طبع منسوباً خطأً لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، وهو مؤلف «غاية المقصود»، أمّا «عون المعبود» فهو لأبي عبدالرحمن شرف الحق محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي العظيم

في حل سنن أبي داود»، طبع الجزء الأول فقط، وهو شرح جليل لكنه لم يتمه ثمّ اختصره بـ«عون المعبود» ولم يكمله، وطلب من تلميذه الآتي أن يقوم بشرحه!

وشرحه محمد أشرف الشهير بشرف الحق العظيم آبادي، وهو من الشروح المشهورة، واسمه «عون المعبود على سنن أبي داود» كان حيّاً قبل (١٣٢٣هـ) ثمّ قال في الهامش -وهذا هو الشاهد-: «وقد يحصل الخلط عند البعض في نسبة الكتاب -أي: «عون المعبود» إلى شيخه السابق -أي: شمس الحق-، والصواب أن الشيخ شمس الحق العظيم آبادي كان له دور التوجيه والمراجعة فقط، واستفاد من شرح شيخه الكبير «غاية المقصود»!!

آبادي، كما تراه في الكتاب نفسه (١/ ١١-١٢).

وتابعني على ذلك بعضُ[١] من نشر الكتاب حديثاً!!

أمّا نسبة الكتاب لأبي الطيب، فالأدلّة عليها لائحة، والقائلون بها هم جماهير الباحثين والمطلعين[٢]، وهي الأمر المشهور، والحقائق هي المشهورات ما لم يثبت خلافها.

---

(١) نشر الكتاب معزوّاً للعلامة (!!) أبي عبدالرحمن شرف الحق الشهير بمحمد أشرف بن أمير العظيم آبادي عن (بيت الأفكار الدوليّة) في مجلدة واحدة ضخمة، وضعت عليها أحكام الحفّاظ الذين ذكر شيخنا الألباني كلامهم على الأحاديث في تخريجه المطوّل لـ«صحيح سنن أبي داود» و «ضعيف سنن أبي داود»، ولم يعز إليه شيء منها!! وفيها تحريف وتطبيع ونقص متتابع كثير، ولم توجد فيها أي ميزة حسنة موجودة في الطبعة الهنديّة.

وظهر -قبل ذلك- منسوباً لشرف الحق محمد أشرف -أيضاً- عن دار إحياء التراث العربي بتنضيد وإخراج جديدين، ووضع عليها ما رسمه: (تحقيق وتصحيح عبدالرحمن محمد عثمان) وأثبت قبلها ورقة واحدة بصفحتين مذيلة باسم: فؤاد بن علي حافظ وأبو عبدالله الداني بن منير آل زهوي، ومؤرخة في ٣/ ربيع الثاني/ ١٤٢٠هـ.

علماً بأنّ الشيخ عبدالرحمن محمد عثمان هو أول من نشر الكتاب وفق الطباعة العصريّة، وذلك سنة ١٣٨٨هـ، ونسبه لأبي الطيب محمد شمس الحق، وانتقد المشرفان على مراجعة هذه الطبعة (حافظ وزهوي) هذه النسبة، وقالا (١/ ٦) ما نصّه: «وهنا تنبيه لا بدّ منه: لقد طبع الكتاب عدّة طبعات لا تخلو من السقط والأخطاء، سواء في متن الكتاب «السنن» أو في «الشرح» إلا أن العجيب في هذا كله أن الكتاب طبع باسم «عون المعبود شرح سنن أبي داود» لأبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي!!

وهذا خطأ، ونسبة للكتاب إلى غير مؤلفه، حيث أن مؤلف «عون المعبود» هو أبو عبدالرحمن شرف الحق العظيم آبادي»، وهذا ما تجده في مقدمة الكتاب، وسبب الوهم في ذلك أن شمس الحق العظيم آبادي صنّف كتاباً شرح فيه «السنن» لأبي داود وهو «غاية المقصود شرح سنن أبي داود» فجاء أخوه شرف الحق فاختصره في كتابه المعروف بـ«عون المعبود».

فبهذا تعرف أيها القارئ الكريم أن الاسم الصحيح لمصنّف كتاب «عون المعبود» هو: «محمد بن أشرف شرف الحق العظيم آبادي» وأنّ «شمس الحق» هو مصنّف كتاب «غاية المقصود» . . . انتهى».

(٢) عدُّ ذلك وحصره أمرٌ متعذّر، إذ هو الدارج في العزو، وهذا الذي تحمله جلّ طبعات الكتاب، فهذا الذي ذكره -مثلاً- الأستاذ عبدالحي الحسني في كتابه الجيد «الثقافة الإسلاميّة في الهند» (ص١٥٢) فإنه لمّا ذكر (شرح «السنن» لأبي داود) قال: «ومن شروح «السنن» لأبي داود: «غاية المقصود» شرح كبير عليه، للشيخ شمس الحق الديانوي، ولم يتم، و«عون المعبود» شرح عليه في أربع مجلدات للمولوي شمس الحق المذكور»، وانظر -على سبيل المثال-: «جهود المعاصرين في خدمة السنّة المشرفة» (٣٣)، «دليل مؤلفات

ونستطيع أن ندلّل على ذلك بكل طمأنينة وأريحيّة، فنقول:

أولاً: جاء في آخر (المجلد الثالث) من الكتاب ما نصّه: «قال العبد الضعيف محمد ابن أمير الشهير بشمس الحق العظيم آبادي -تجاوز الله عنه وعن أبويه ومشايخه-: تمّ بحمد الله -تعالى- وعونه، وبنعمته تتم الصالحات- (الجزء الثالث) من «عون المعبود على سنن أبي داود» . . .»[1].

ثانياً: وترى في أوّل (المجلد الرابع) ما نصّه: «. . . فيقول العبد الضعيف أبو الطيب محمد الشهير بشمس الحق العظيم آبادي -عفا الله عنه وعن آبائه ومشايخه-: هذا (الجزء الرابع) من «عون المعبود شرح سنن أبي داود» . . .»[2].

ثالثاً: وفي آخر (الرابع): «قال العبد الضعيف أبو الطيب محمد بن أمير الشهير بشمس الحق العظيم آبادي -عفا الله عنه وعن آبائه وأشياخه خصوصاً شيخنا العلامة السيد نذير حسين الدهلوي الذي له عليّ منّةٌ عظيمةٌ، لا أستطيع أن أكافئها-: هذا آخر (المجلد الرابع) من «عون المعبود شرح سنن أبي داود» تقبّل الله مني، وجعله ذخيرة ليوم المعاد، ووفقني لإتمام الشرح الكبير المسمّى بـ«غاية المقصود شرح سنن أبي داود»، ويعينني عليه بأنعامه التامّة، ويهب لي من العلوم النافعة التي يرضى بها، وأفوّض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد»[3].

رابعاً: مما يؤكّد هذا أنّ صاحب «العون» يحيل في هذا «الشرح» على كتب هي لأبي الطيب من غير خلاف، كقوله -مثلاً-: «وقد نقلتُ هذه العبارة في «التعليق المغني» من «تلخيص المنذري»»[4].

وأحال في (٦/ ٢٧) على رسالته «عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان»، قال: «وقد فصّلتُ الكلام في هذه المسألة في رسالتي «عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان»، وأجبتُ على كلام القاري وغيره من المانعين . . .».

وقال في رسالة أخرى (٥/ ٤٠٩): «وإن شاء ربي سأفصّل الكلام على وجه التمام في هذه المسألة في رسالة مستقلّة أسميتها بـ«غاية البيان في حكم استعمال العنبر والزعفران، والله الموفق . . .».

وذكر فيه (١/ ٦ ت) كتاب «نهاية الرسوخ في معجم الشيوخ».

فهذه أدلّة قويّة ظاهرة تدلّل على صحّة النسبة التي اشتهرت لـ«عون المعبود» وأنها لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي.

الحديث الشريف المطبوعة» (١/ ٣٠٢)، و«المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف» (١/ ٤٤٢).

(١) «عون المعبود» (٥/ ٥٠٣).

(٢) «عون المعبود» (٦/ ٥).

(٣) «عون المعبود» (٧/ ٣٨٧-٣٨٨).

(٤) «عون المعبود» (٣/ ٤٢٤).

ولكن قد يقول قائل: إنّ الكتاب مشترك بين أبي الطيب وأخيه أبي عبدالرحمن، فأوّل مجلدين لمحمد أشرف والأخيران لمحمد شمس؟ وهذا محتمل لولا أنّ الأدلّة قائمة على أنّ الكتاب بكلّه وكلكله، وبجميع حروفه وفصوصه ونصوصه وفصوله لأبي الطيب شمس الحق، ونوجزها فيما يلي:

أولاً: صرّح بذلك العلامة الشيخ عبدالحي الحسني (ت١٣٤١هـ) قال في كتابه «نزهة الخواطر» (٨/ ١٩٥) في ترجمة (شمس الحق) لمّا عدّد مصنفاته: ومنها «عون المعبود» قد طبع باسم أخيه محمد أشرف، وهو ملخَّص من «غاية المقصود» . . .».

فإذاً هو مطبوع باسم أخيه (محمد أشرف)! ولكنه ليس من تأليفه، ويدلّ على ذلك على وجه اليقين قوله في «النزهة» -أيضاً- (٨/ ٤٣٣) في ترجمة (محمد شرف): «وقد عزا إليه صنوه شمس الحق (المجلد الأول) من «عون المعبود» قال عبدالحي: «أخبرني بذلك الشيخ شمس الحق»، وهذا التصريح يُغني عن كل الكلام، وفيه القطع بصحّة نسبة الكتاب كاملاً لأبي الطيب.

ويؤكد ذلك:

ثانياً: نقل بعض الباحثين والمطّلعين[1] أنه رأى المحدث شمس الحق على النسخة الخطيّة الموجودة في مكتبة خدا بخش برقم (٣١١٨) ما نصّه: (الجزء الثاني) من «عون المعبود شرح سنن أبي داود» من أول كتاب (الزكاة) إلى آخر (باب التولي يوم الزحف)، للعبد الضعيف أبي الطيب عفي عنه».

ومرَّ بك -أخي القارئ- ما نقلناه لك مما هو موجود في خاتمة (المجلد الثاني) مما يشعر أنه لمحمد شرف!

ثالثاً: تنبّه لهذا جمع من الباحثين، بل في كلام من تولى نشر الكتاب -وهو الشيخ تلطف حسين العظيم آبادي (ت١٣٣٤هـ)- ما يدلّ على ذلك؛ وهو بلا شك كان يعلم النسبة الحقيقية للكتاب، ويعلم صلة أبي الطيب بأخيه، وحسن العلاقة بينهما، ونصيب كل واحد من العمل بـ«العون»، وأفصح عن ذلك بكلمة مطوَّلة، أثبتها آخر الكتاب، ومما جاء فيها:

«وإنّ الفاضل الجليل أبا الطيب قد جمع جماعة من الأعيان وقت تصحيح المتن والمعارضة وتأليف الشرح، واستعان منهم بما يليق بشأنهم، فمنهم أخوه الأصغر الفاضل النبيه المولوي أبو عبدالرحمن شرف الحق الشهير بمحمد أشرف الديانوي العظيم آبادي، ومنهم: نخبة المبرزين عمدة الفاضلين المولوي عبدالرحمن المباركفوري الأعظم، كرهى، ومنهم ابن الشارح النبيل وهو ذو القدر النفيس الفطين الذكي المولوي أبو عبدالله إدريس بن أبي الطيب الديانوي

---

(١) هو محمد عزيز شمس في كتابه «حياة المحدث شمس الحق وأعماله» (ص١٦٨).

العظيم آبادي، ومنهم: الصالح البار الحاج عبدالجبار ابن الشيخ العالم نور أحمد الديانوي -عليهما الرحمة من الله الغفّار-، وغيرهم من أهل الفضل -جزاهم الله تعالى خيراً، وسعى لهم سعياً مشكوراً-، فإنهم امتثلوا بما أمر به أبو الطيب الشارح، وقاموا بخدمة ما كلف به آناء الليل والنهار».

وقال بهذا -أخيراً- أبو الحسن علي الحسني النَّدْوي، قال في تقديمه لكتاب «بذل المجهود» (١/ ٨) عن «عون المعبود» ونسبه لشمس الحق، وقال: «ونسبه إلى أخيه الشيخ محمد أشرف، وهو من تأليفه حقيقة»، ونسبه المباركفوري في «مقدمة تحفة الأحوذي» (ص٧٦ - الهنديّة) لأبي الطيب، وهكذا صنع جمع من المقرظين، وإليه ذهب جماعات من تلاميذ المصنف، بل قال بعض الباحثين[1].

«إنّ جميع تلاميذ المحدث العظيم آبادي وشيوخه وأصحابه متفقون على أنّ الكتاب من مؤلفاته، ولم يذكر أحد منهم أنّ الكتاب ألّفه أخوه الشيخ محمد أشرف، ولو كان الأمر كذلك لصرّح به كلّ واحد».

تبيَّن لنا بجلاء أنّ «عون المعبود» لأبي الطيب، وأنّه نَسَب (الجزء الأول) منه لأخيه محمد أشرف تطييباً لخاطره، ولقيامه بمساعدته، إذ كان من ضمن العاملين على اختصاره، ولعل كان له نصيب كبير من ذلك، واستمرّ الأمر كذلك؛ في (المجلد الثاني)، ثمّ رجعت النسبة لمؤلفه الحقيقي في المجلدين الأخيرين: (الثالث) و (الرابع)، وإن نسبته للجماعة -كما قال العلامة محمد تقي الدين الهلالي في «الدعوة إلى الله» (١٣٦-١٣٧)- غير دقيق، نعم للجماعة المذكورين، بما فيهم العلامة المباركفوري جهد في التصحيح والمعارضة تماماً كما فعل الهلالي مع شيخه صاحب «التحفة»، قال في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ١٣٧) عند ذكره السفر إلى (مبارك بور) ولقائه بشيخه العلامة عبدالرحمن بن عبدالرحيم، وأنه قرأ عليه أطرافاً من الكتب «الستة» و «ثلاثيات البخاري»، قال: «وعارضت معه مواضع من كتابه القيّم «تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي» والتمس مني أن أنظم قصيدة في تقريظه، فنظمتها وتركتها عنده، فأدرجها في آخر (المجلد الرابع)».

والحمد لله رب العالمين.

(١) هو محمد عزيز شمس في كتابه «حياة المحدث شمس الحق وأعماله» (ص١٧٠).

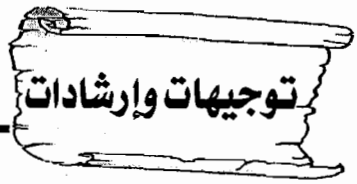

الحلقة الثالثة

جولات مع فقه أئمّة المساجد

• بقلم: الشيخ خالد مأمون آل محسوبي

الجولة (٤)

الإمامُ والدعوةُ إلى الله

الدَّعوة إلى الله؛ هي أشرف عمل عرفته البشريَّة؛ بلا مرية، ويكفي -أيها الأمّة- أنها عمل الأنبياء.

أقول هذا، وأنا أعلم علم اليقين أنّ من الأئمة مَنْ لا يخفى عليه هذا، ومَنِ الذي يخفى عليه مِنَ الأئمة هذا؟!

لكن . . . ليس هذا هو القصد، ولا هذا هو المحل، ولا هذا هو مربط الفرس -كما يقولون-؛ وإنّما القصدُ هو أن يُولي الأئمة الدَّعوة إلى الله كلّ اهتمامهم، لا المفضول مِنْ أوقاتهم!

أعرف إماماً إذا جاء -وهذا في حكم النّادر[1]- قبل الصَّلاة بقليلٍ، انشغل عن صلاة السُّنَّة الراتبة[2] بالقراءة في الكتاب الذي سيقرأ منه على جماعة المسجد، وأما إذا لم يأتِ قبل الصّلاة -وهذا حاله غالباً-، فإنه يقرأ دون تحضير للموضوع الذي سَيُبَلِّغ للأُمّة، وهو في مقام النبيّ ﷺ؛ فانظر لحاله ولحال قراءتهِ حينئذٍ؛ تَرَ العجب!

إنّ الدّعوة إلى الله -عزَّ وجلَّ- صارت -وللأسف الشديد- عملاً هامشياً في حياة كثيرٍ من الأئمة، ولا حول ولا قوّة إلا بالله[3].

---

(١) والنَّادر؛ لا حكم له، كما يقول الأصوليون.

(٢) سيأتي الكلام عن السُّنن الرواتب في حياة الأئمة، فانتظر.

(٣) انظر -غير مأمور- كتاب «وجوب الدّعوة إلى الله» لسماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-، وهو كتاب يوصى الدُّعاة بقراءته لأهميَّته؛بل يقرؤوه الأئمة -كذلك- على جماعة المسجد، فهم كالإمام بحاجة إليه . . .

وهذا -والله- أمرٌ مؤسف غاية الأسف، مُحزن غاية الحزن، ألا تشغل الدّعوة كيان كلّ إمامٍ، مع توفر الأسباب الدّاعية للدّعوة إلى الله -عزَّ وجلّ-.

وقارن هذا بحال مَنْ لا أسباب عندهم البتّةَ، وهم يبذلون في سبيل دعوتهم كلّ غالٍ ونفيس، ولله في خلقه شؤون.

إنني أعرف من الأئمة مَنْ يضن على جماعة مسجده بشريط دعويّ يقدِّمه لهم كلّ شهرين على الأقل، مع ملاحظة مهمة[1]، وهي وجود الأسباب التي يستطيع من خلالها تقديم كلّ أسبوع كتيباً وشريطاً على الأقل!

أقول: لو أنَّ كلَّ إمامٍ قام بواجبه من الدَّعوة إلى الله؛ لكان حال مجتمعنا غير الحال التي نراها؛ ولكنَّ الكمال عزيز . . .

إنَّ التَّردي الذي تعيشه أُمَّتنا بحاجةٍ إلى جيش من الدُّعاة، كما قاله أحد طلبة العلم الأفاضل، وإنّ من المصائب أن لا يستشعر كثيرٌ من الأئمة هذه المهمّة الملقاة على عواتقهم، أم نقول: إنهم هم أنفسهم بحاجة إلى هذه الدَّعوة!

(١) قُلْ: مهم، ولا تقل: هام.

وأعرف -في هذا الأمر- أحد الأئمة، لَمَّا عَرَفَ أحد النَّاس الذين لا يُصلُّون، قد بدأ يُصلِّي بعد أن عُرِضَ عليه أن يُصلِّي من قِبَلِ إحدى الجماعات الدَّعويّة[2]! قال: خيرٌ له أن لا يُصلِّي، ولا يمشي مع هذه الجماعة[3]!

كما أنّ من المظاهر الآن، والتي تُعَدُّ من المظاهر الشائعة عند عددٍ من الأئمة غير قليل، أنه متى ما أراد أن يقرأ على جماعة المسجد قرأ، فالكتاب موجود على الحامل ولا ينقصه إلا أن يفتح الكتاب ويقرأ!

وهكذا . . . ثمَّ إنَّ بعض الأئمة ينظر في حال النّاس بعد الصّلاة، وربما استغرق ذلك دقائق، ثمّ إن راق له قرأ عليهم، وإلا فلا . . .

وكأنَّ الدَّعوة أمر مزاجي لا اجتهاد فيه!

وهذا الاستهتار ولَّد أئمة لا يعرفون للإمامة حقَّها، حتى أنّ أحد الأئمّة كان

(٢) هي جماعة التبليغ، وبخصوصها انظر الكتاب الفذ: «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» لفضيلة الشيخ العلامة حمود بن عبدالله التويجري -رحمه الله-.

(٣) وهكذا يكون النّظر في المصالح والمفاسد من قِبَلِ بعض الأئمة -هداهم الله-!

ينتهي من خطبة الجُمُعة مبكراً جداً[1]، فلمّا سُئل عن ذلك؛ قال: إنه كلّ يوم جُمُعة على موعدٍ على القهوة مع بعض الأشخاص!

ومثله أحد الأئمة الذين إذا صلَّيتَ خلفهم لا تستطيع إكمال الصَّلاة الإبراهيميّة[2] التي في التشهد الأخير، ولمّا سُئل عن ذلك، قال: إنه يُراعي حال المأمومين، مع أنّ هذا الموطن مِنْ مواطن إجابة الدُّعاء في الصَّلاة، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

استطراد:

وممّا يذكر هنا استطراداً أنّ بعض الأئمة يذكر في أحد دروسه أنه سوف يبدأ في درسٍ من دروس الفقه -مثلاً- ثمَّ يستمر فيه قليلاً، ثمّ لا يلبث إلا أن يعلن أنَّ هذا الدرس غير مناسب -دون مسوِّغ شرعي أو عقلي[3]- ليبدأ في درس آخر، وهكذا، والمتلقّي من المأمومين هو الضائع بين حقول تجارب إمامه، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم . . .

وعليه؛ فإني أقول -والحال بهذه الصُّورة-: إنَّ الدُّعاة يُردِّدون -مِنْ أقوالهم- كلّنا يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؛ ليستقيم حال المجتمع، ولكي لا تغرق السفينة، وأقول: لو أنّ كلّ إمامٍ قام بهذا الواجب؛ لكان التعبير في مكانه الصَّحيح؛ لأنَّ التوجيه ممّن بيده التوجيه غير التوجيه ممَّن لا يملك لنفسه شيئاً من الأمور!!

كما أنَّ ممّا أقوله -أيضاً- استطراداً في هذا المقام، وقد لاحظته مراراً وتكراراً، وقد كررته -قبلُ- في موضع من هذه الجولات- أنّ بعض الأئمّة -هداهم الله- قد يقرؤون من الكتب التي اعتادوا أن يقرؤوا منها دون تحضير.

وهذا له عدَّة مثالب -ذكرتُ بعضها في موضعه من هذه الجولات -كما أذكر- الآن- أيضاً-: أنه قد تكون هذه القراءة في غير محلّها

---

(١) والعامّة يسمون هذا المسجد: (أبو سليق)، والسَّليق ما يطبخ على عجلٍ، دونما إحكامٍ!

(٢) كما يسميها الفقهاء.

(٣) اللهم إلا حب التجديد، والملل من الاستمرار، وعدم الحرص على الاستعداد والتحضير الجيّد للدرس، ممّا يفقده جوهره، ثمّ لا يلبث أن يزول ويتلاشى، والمُعين والمُوفّق هو الله.

-بسبب عدم التحضير- فيخرج السَّامع وهو -إي والله شاهدتها- مشوّش الذهن لما ألقي في خلده من قراءة لم يحسب القارئ لها -أعني: الإمام- أي حساب، فجاءت على عكس ما يُريد، (وما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه)!

وإنَّ هذا التقصير يتعدّى ضرره، وقد كنتُ بمجلسٍ جمعني مع أحد مُحبّي الخير، فتكلَّمتُ معه ومع الحضور فيما يقوّم الاعوجاج الواقعة فيه النُّفوس، فما كان من أحد الحاضرين إلا أن قال: هل أنتَ من (جماعة التبليغ) [1]؟! فعجبتُ لسؤاله هذا، فقلتُ له: لِمَ؟ فقال: إنَّ إمام الحي لا يقوم بهذا الذي تفعله -أي: الدَّعوة-، وإنما أراه -فقط- في (جماعة التبليغ)، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

كما أنّ من جوانب التقصير المشاهدة على حال بعض الأئمة: أن تلاحظ تغيراً في هديهم الظاهر، من مثل: إسبال الثوب بعد أن كان قصيراً، أو الأخذ من اللحية بعد أن كانت كاملة بما يمسخها (وهذا وغيره بحجة مسايرة الواقع، أو تتبع لأقوالٍ شاذّة، أو تأويل في غير مكانه)، فإذا سألتَ أحدهم عن هذا التغيير المُلاحَظ، قال: إنَّ النَّاس قالوا: كذا، وأنا لا أحبُّ مخالفتهم، وقد يكون هذا -في الأصل- من أمراض القلوب.

وقد شاهدنا مَنْ هذا حاله فانتهى به الأمر -ليس من هذه الجوانب فقط-؛ بل لترك الإمامة والصَّلاة معاً، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

وكلُّ هذا مَرَدُّه في الأوّل والأخير إلى التقصير في الجانب الدعويِّ (سواء النَّفس أوَّلاً، أو غيرها ثانياً)؛ بل بعضهم يعتبر هذا الخمول مسوِّغاً له في ترك الواجب دونما التفاتٍ له، وقد شاهدنا مِنْ هذه الحالات عدداً غير قليل!!

وممّا أذكُره هنا استطراداً -أيضاً- أننا لاحظنا الكثير من الأئمة يهتمُّ بقلّة عدد

---

(١) ولشيخنا الدكتور محمد موسى نصر -حفظه الله- كتاب: «القول البليغ في نصيحة جماعة التبليغ» -في الردّ عليهم-، وقد أخبرني فضيلته بأنّ كتابه هذا (شبه مفقود)، وأنه يعمل الآن مع فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان -حفظه الله- على تحقيق كتاب «السِّراج المنير . . . » للشيخ العلامة محمد تقي الدين الهلالي -رحمه الله- في الردّ على جماعة التبليغ، وهو من أوائل مَنْ ردّ عليهم -رحمه الله-.

المصلِّين، وكأنّ من يُصلِّي يُصلِّي له -عياذاً بالله- وإن كان هذا الأمر قد يقعُ لأسبابٍ معيَّنةٍ، فإنه يجبُ أن لا يلتفتَ إليه الدَّاعية (الإمام، أو الخطيب)؛ لأنَّ الأمر ليس تجميعاً؛ بل هذا دين، والمطلوب من (الإمام، أو الخطيب) هو: إحسان عرض الدَّعوة على النَّاس، ولا عليه -بعدئذٍ- من النتائج . . .

وأقول: إنَّ هذا الأمر قد يفت في عضد الدَّاعية، وهذا لا ينبغي؛ لأنّ الدّاعية يدعو إلى دينٍ، لا يدعو إلى أشخاص كثروا أو قلّوا، ولعلَّ هذا -والله أعلم- هو الذي أردى -في الأخير- عدداً من الدُّعاة كانوا -يوماً ما- ملء السَّمع والبصر، والسَّبب هو هذا المفهوم الخاطئ، القائم على دعوة التجميع، لا الاصطفاء، أو بتعبير آخر: (التصفية والتربية) والموفَّق لهذا مَنْ يُوفقه الله.

الجَوْلة (٥)

ممَّا لا يخفى على اللبيب؛ بل وغير اللبيب ما تمرُّ به الأُمَّةُ مِنْ نوازل، وكوارث، ومصائب، تستدعي قنوت النَّوازل، وكثير ما يأتي الأمر من ولاة الأمر[1] بالقنوت، ثمَّ إنك ترى -من كثير من الأئمة- عدم الاستجابة لهذا الأمر، أو أن يُقابل بالآتي:

- بفتورٍ إلى حدٍّ غير معقول!
- أو تجاوزٍ واعتداءٍ في الدُّعاء.

وكلا طرفي الأمرين ذميم -كما قيل-.

وخير الأمور الوسط؛ بل إني رأيتُ -فيما رأيتُ من الأئمة بخصوص القنوت- مَنْ يقنت بخلاف الواقعة التي استوجبت القنوت؛ فتكون في وادٍ، والإمام بقنوته في وادٍ آخر، وهكذا لن يجدي القنوت الذي خالف فيه الإمام ولاة الأمر، ولن يكون له موضعاً يصيبُ به الأمر الذي قُنِتَ بسببه[2]، وهكذا يفوتُ على أمَّتنا من الخير الشيء الكثير، الذي كان مفترضاً فيه أن يصل إلى أهله!

ولعلَّ هذه -والله أعلم- نازلة تحتاجُ إلى قنوتٍ!!

---

(١) وهم العلماء، والأمراء.

(٢) انظر -غير مأمور-: «القول المنعوت بتفصيل البسملة» لناصر لازم، نشر مكتبة الصحوة -الكويت-، وهو من الكتب التي يُوصي بها الأئمة والخطباء والدُّعاة؛ لأهميتها، ولأنّ التفصيل الذي جاء به قد لا يوجد في كتابٍ آخر، فلينظر.

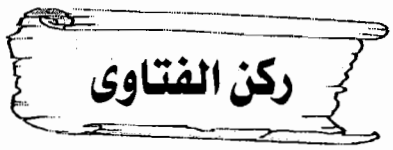

لجنة الفتوى
في
(مركز الإمام الألباني)

❑ **وردنا سؤال عن الوقف وبناء المساجد.**

الحمد لله وحده، والصّلاة والسّلام على من لا نبي بعده، وبعد:

نشكر لكم ثقتكم، ونسأل الله لنا ولكم السداد والتوفيق والرشاد.

أما بالنسبة للجواب؛ فهو ملخص في النقاط الآتية:

أولاً: هدم المدرسية الوقفية السابقة جائزٌ إذا وجد مسوّغٌ شرعيٌّ لذلك؛ كعدم صلاحية البناء، أو عدم السّعة أو نحو ذلك مما يقرّره الحريصون على الخير والعمل الصالح.

ثانياً: أمّا بالنسبة لإضافة بناء المسجد، فهو قربة وطاعة؛ شريطة أن لا يؤثر بناؤه على المقصد الأصلي التي قامت المدرسة من أجله، وإنما يكون زائداً عليه أو مضافاً إليه.

ثالثاً: لا بد من وضع المواد الصالحة الباقية في البناء القديم في البناء الجديد، وكذا الأثاث -أو على الأقل: أثمانه -إذا لم يتيسر ذاته-، أما ما لم يصلح فتوضع قيمته فيه -حسب-، وإن لم يقع ذلك، وكان مجموع ما أنفق على البناية الجديدة فوق هذه القيمة؛ فالأمر ولله الحمد واسع، ونسأل الله القبول.

رابعاً: أمّا بالنسبة إلى صحة الصلاة فيه، فهي صحيحة حتى في حالة الاعتداء على الوقف على مذهب الجماهير من الفقهاء، بناءً على صحة الصلاة في الدار المغصوبة.

أمّا إن كان هناك مسجد آخر بالقرب منه فهي مسألة أخرى؛ بحيث يكون هذا العمل فيه إساءة، وتفريق للمؤمنين، ويجب على أهل النّظر من القائمين على هذا الوقف أن

يعملوا على جمع المصلين، والاقتصار على الصلاة في المسجد السابق، إلا إنْ وجِدت حالات معينة ذات ضرورة خاصة قد يكون لها اعتبار في الفتوى.

والله المستعان، وعليه التّكلان.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

❑ وصلنا مجموعة من الأسئلة عن الجمع بين الصلاتين، ومتى يشرع؟ وما هي الأعذار المبيحة له، وهل تشترط الجماعة أم لا؟

والجواب – وبالله تعالى – التوفيق :

الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء من جهة، وبين الظهر والعصر من جهة أخرى، سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ، وبه قال جماهير السلف والخلف، ولم يخالف إلا أبو حنيفة وأهل الرأي، بناءً على أصلهم من أن العام القطعي لا يخصص بالأحاديث الظنية، وقالوا: إن أوقات الصلوات جاءت في نصوص قطعية ولا تنهض نصوص السنة وإن كانت في «الصحيحين» على معارضتها!

وهذا يخالف مذهب المحققين من أهل العلم، ومسلك السلف الصالح في الاستدلال.

وثبت في «الصحيحين» من حديث ابن عباس: جمعُ النبي ﷺ من غير خوف ولا سفر، وثبت في «صحيح مسلم» جمعه ﷺ من غير خوف ولا مطر.

فهذه الأعذار كان الجمع دونها فبها أولى، وهي: - نعني: الخوف، والمطر، والسفر- أعذار نموذجية، وقد وقع التّصريح من ابن عباس في سبب جمع النبي ﷺ، قال : - كما في «الصحيحين»: «أراد ألا يحرج أمته»، وفي رواية «يشق على أمته»، فأي عذر يلحق المشقة بأضعف الناس، من المطر والبرد والوحل والريح الشديدة، فللإمام أن يجمع بين الصلاتين رفعاً للحرج.

والأعذار نوعان:

عذر نوعي -الأعذار السابقة (المطر، البرد، ...)-: فالجمع بسبب هذا النوع، ولا يشترط أن تلحق المشقة كل مصلٍ بعينه، فمن كان باب بيته في المسجد، والإمام الذي يسكن فيه، ومن يمشي إليه بسيارة، أو تحت مظلة، أو على شارع معبّد، فله الجمع، ويُقَدِّرُ الإمام المشقة بأضعف الناس.

وهذا النوع لا بدَّ له من صلاة الجماعة، ولا يجوز للمنفرد في البيت، ويستنبط منه أن أداء الصلاة جماعة في نظر الشارع عند طروء العذر الذي قد يحول دونها، مقَّدم على أدائها في الوقت، ويستفاد منه بدلالة الأولى وجوب صلاة الجماعة، أفاده ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٣/ ١٥٩ ـ ١٦١) و «الصلاة وحكم تاركها» (ص ١٣٣ ـ ١٣٤).

والنوع الآخر من الأعذار: عذر شخصي، كالمرض والسفر والحاجة الشديدة الطارئة التي تفوت مصلحة في دين أو دنيا، بشرط ألا يتخذ ذلك عادة، فالجمع بسبب هذا النوع لا تشترط فيه الجماعة، والله الموفق للخيرات، والهادي إلى الصالحات.

□ □ □ □ □

□ جاءنا من دولة الإمارات العربية ـــ دبي ـــ السؤال التالي، من طرف الأخ : رامي درويش:

ما حكم الشرع في استخدام المواد المستخرجة من (البحر الميت) والتي تستخدم كمواد للتجميل، مثل طينة البحر الميت، والصابون وغيره .

نرجو من أصحاب الفضيلة العلماء القائمين على «مركز الإمام الألباني» أن يقوموا ببيان الحكم الشرعي في هذا الأمر، وجزاهم الله خيراً.

جواب:

لا مانع شرعي مِن استعمال المواد المستخرجة من البحر الميت للعلاج أو التجميل المباح -للضرورة-.

وقد امتن الله على عباده بقولـه: ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾، قـال الإمام ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٤/ ٧): «لا يصح الامتنان بممنوع منه، خلافاً لمن زعم أنه يصح»اهـ. والمنّة لا تكون في حرام أو مكروه، ومنطقـة البحـر الميـت كبيرةٌ؛ متسعة الأرجاء، منتشرة، لا نعلم بيقين أينَ وقع الخسف فيها على التعـيين -على اختلافٍ معروفٍ في ذلك-، فالأصل استصحاب الحال من الانتفاع بـتلكم الموادِّ حتى يرد تعيين مكان الخَسْفِ الممتنعِ الاستخراج منه -بيقين-.

والله تعالى أعلم.

❑ سؤال: هل كل من وقع في البدعة وقعت البدعة عليه؟

جواب:

ليس كل من وقع في البدعة يقال له: مبتدع، فقد اتفق علماء السنة والجماعـة علـى التفريق بين الحكم على الفعل والحكم على المعين الفاعل، فإن الحكم على المعين لا يتم إلا بانتفاء الموانع وتحقق الشروط.

وأمّا الداعي إلى البدعةِ، والنافح عنها، المعروف بها؛ فهو مبتدع ولا كرامة.

❑ سؤال: نريد التفصيل في مسالة الموازنة مع المبتدعة، وبين الموازنة مع أهل السنة؟

الجواب:

الموازنة -في الاصطلاح المعاصر- تعني لزوم ذكر الحسنات والسيئات في المتكلم فيـه، وليس مِن شك أن هناك فرقاً كبيراً بين تطبيق الموازنات علـى أهـل السـنة وعلـى أهـل البدع، وبيان ذلك فيما يأتي:

١) لا تُذكر حسنات أهل البدع في معرِض نقدِهم -ألبتّةَ-؛ عقوبة لهم.

٢) لا تُذكر حسنات أهل البدع خشية الترويج لباطلهم والاغترار ببدعهم.

و على هذا الأصل عَمَلُ الأئمة الثقات من حيث تطبيق قواعد الجرح والتعديل في كتب الرجال.

٣) أمّا أهل السنة فيجوز ذكر حسناتهم في مثل هذه المقامات دفعاً للجرأة عليهم وإسقاطهم، وإقالةً لعثراتهم.

مع وجوب بيان أخطاء المخطئين من أهل السنة -تواصياً وتعاوناً-، وإبداء النصح لهم برفق ولين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: « . . . ولهذا يكثر في الأمة من أئمّة الأمراء والعلماء وغيرهم من يجتمع فيه الأمران، فبعض الناس يقتصر على ذكر محاسنه ومدحه غلواً وهوىً، وبعضهم يقتصر على ذكر مساوئه وذمه غلواً وهوىً، ودين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وخير الأمور أوسطها». [«التسعينية» (٣/ ١٠٣٣)]

❐ ❐ ❐ ❐ ❐

❐ سؤال: ما رأيكم في اشتغال كثيرٍ من الشباب بمسائل الجرح والتعديل مع قلّة علمهم في العقيدة والفقه ومصطلح الحديث، وقولهم: أن علم الجرح والتعديل واجب تعلمه على المبتدئ في طلب العلم.

الجواب:

الجرح والتعديل علم مهم، له فرسانه، ولا يجوز للمبتدئين الانشغال به، وبخاصة أن المتفق عليه بين أهل العلم أن حكمه فرض كفاية، فلا يجوز -والحالة هذه- أن ينشغل به المبتدؤون عن الفروض العينية الواجبة في حقهم، كتعلم التوحيد والعقيدة، والسُّنّة، وما يلزم من الأمور الفقهية، وما ينبني على ذلك كلّه من سلامة الباطن والظاهر مما يلزم المسلمَ في اليوم والليلة، ومعرفة واجب الوقت، والاشتغال به.

❐ ❐ ❐ ❐ ❐

❐ سؤال: بالنسبة للخط عند الحجر الأسود إذا تجاوزه الشخص قليلاً هل يكون عليه شيء؟

الجواب:

لا حرج إنما وضع الخط ليكون الطائف مستقبلاً الحجر الأسود كاملاً يستقبله بصدره ويكبر، فلا حرج إن تجاوزه أو تأخر عنه، ونرى أن هذا الخط قد زاد من مشكلة الزحام وأربك الطائفين، فالأصل عدمه، وتتسع دائرة الموازاة كلما كان الطائف أكثر بعداً من الحجر.

❐ ❐ ❐ ❐ ❐

❐ سؤال: ما حكم خروج النساء لصلاة العيد؟

الجواب:

إنها سنّة واجبة، يخرجن كالرجال، عامّتهن مِن ذوات الخدور ومن ليس عندها جلباب تأخذ من أختها جلباباً لتصلّي مع المسلمين، حتى الحُيَّض منهنّ يشهدن الخير ودعوة المسلمين، هذه شعائر قد فرط الأزواج في أمر نسائهم بها -إلا من رحم الله-

لجنة الفتوى

محمد بن موسى آل نصر	سليم بن عيد الهلالي
علي بن حسن الحلبي	مشهور بن حسن آل سلمان

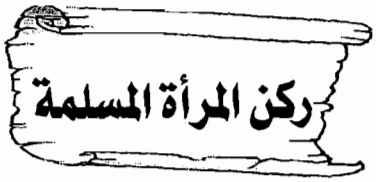

الحلقة الثانية والأخيرة

الغَيْرَة

• بقلم: نجلاء الصالح

لقد كانت الغيرة موجودة في بيت النبوة، بين نساء رسول الله ﷺ، ها هي السيدة أم سلمة -رضي الله عنها-، لما انقضت عدتها من أبي سلمة -رضي الله عنه-، أرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها، فقالت: إن لي بنتاً وأنا امرأة غيور، فقال رسول الله ﷺ: «أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة»[1].

وكانت السيدة عائشة -رضي الله عنها- من أحب نساء رسول الله إليه، وأشدهن غيرة عليه، لكنها لم تمنعه بحبها له حقاً منحه الله -تعالى- إياه أو شرعاً أدّاه.

ولقد أهدته إحدى زوجاته ﷺ إناء به طعام في يوم عائشة -رضي الله عنهن- فألقته فكسرته، فقال ﷺ: «طعام بطعام، وإناء بإناء»[2].

وفي رواية: «طعام كطعامها وإناء كإنائها»[3].

وقد قالت -رضي الله عنها-: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجه -رضي الله عنها-، وما رأيتها قط، ولكن كان يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثمَ يقطعها أعضاء ثمَ يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا

(١) رواه مسلم (٩١٨).

(٢) «صحيح الجامع» (٣٩١١).

(٣) «صحيح الجامع» (٣٩١٢).

خديجة، فيقول: «إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد»[1]، وفي رواية قالت -رضي الله عنها-: فأغضبته يوماً، فقلت: خديجة؟ فقال: «إني رزقت حبها»[2]، وعنها أيضاً -رضي الله عنها- قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك، فقال: «اللهم هالة بنت خويلد»، فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، هلكت في الدهر فأبدلك الله خيراً منها[3].

قال شيخنا الألباني -يرحمه الله تعالى- في التعليق على الحديث: زاد أحمد في رواية: قالت: فتمعَّر وجهه تمعُّراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي، أو عند المخيلة، حتى ينظر أرحمة أم عذاب، وإسناده على شرط مسلم، وفي رواية أخرى له قال: «ما أبدلني الله -عز وجل- خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله -عز وجل- منها ولدها إذ حرمني أولاد النساء»، وفي رواية أخرى له وللطبراني ذكرها الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٠٧) من طريق نجيح عنها بلفظ: فغضب حتى قلت: «والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير»[4].

وعنها -رضي الله عنها- أنها قالت: قلت لرسول الله ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، [قال بعض الرواة تعني قصيرة]، فقال ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»[5]، الله أكبر كلمة قصيرة، لو مزجت بماء البحر لمزجته، فكيف بكلام كثير من الناس في زماننا هذا، وما الذي سيمزجه؟ رحماك ربي.

أما لنا في حسن عهد رسول الله ﷺ وعشرته، وتوجيهه، وفي خلق أمهات المؤمنين والصحب الكرام -رضي الله عنهم أجمعين- أسوة حسنة؟؟

أخي في الله ... أختاه: قال ﷺ: «ما تحابَ رجلان في الله إلا كان أحبهما إلى الله -عز وجل- أشدهما حباً لصاحبه»[6]، وقال ﷺ: «ما تحاب اثنان في الله. إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه»[7].

---

(١) متفق عليه.

(٢) «مختصر صحيح مسلم» (١٦٧٢).

(٣) «مختصر صحيح مسلم» (١٦٧٤).

(٤) «مختصر صحيح مسلم» (ص٤٤٥/ الحاشية).

(٥) «صحيح الجامع» (٥١٤٠).

(٦) «السلسلة الصحيحة» (٤٥٠).

(٧) «صحيح الجامع» (٥٥٩٤).

إنها دعوة إلى سباق؛ سباق محبة في الله -عز وجل-، لنـال محبتـه -سـبحانه-، سـباق إلى الأفضـل، سـباق إلى سـعادة الـدارين: الـدنيا والآخرة، مع مـن نحـبهم في الله، وبالـذات مـع الأزواج؛ لأن الغـيرة فـيهم، وعلـيهم أشـد، مـا أجمـل أن يجمـع بـين المـزوجين حـب في الله، إلى جانب المودة والرحمة.

إنها سعادة الدنيا بـالتوافق، والانسـجام، وراحـة المـنفس، والطمأنينـة، والقناعـة، والرضـا، والتسـليم لأمـره، والمسـابقة إلى الخيرات بإذنه، وتقديم محبة الله ورسوله عـلى الأهواء والشهوات، واغتنام الأوقـات سـوياً في الطاعات، فذلك خـير مـن ضـياعه هـدراً بالمشـاكل والخلافـات، وسـعادة الآخـرة لقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس:٥٥-٥٦].

إن المحبة فضل من الله -تعالى- يؤتيه من يشـاء، والقلـوب بـين أصـبعين مـن أصـابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، قـد تتحـول بكثـرة المشاكل، والصدّ، والعناد، والعتاب، والبعـد عن المنهج الرباني الذي ارتضاه سبحانه، ممـا يحمل أصحاب هذه القلوب على البحث عن المودة، والرحمة، والراحة، ليسكنوا إليها.

فلنتق الله في أنفسنا... فلنتق الله في أزواجنا... فلنتق الله في أبناءنا... ولنتق الله فيمن نحب!! نعم نغار... نغار عليهم من نسمة هواء تؤذيهم، ومن أي عمل يرديهم!! نعم نغار... لكن ليس بالقدر الذي يجعلنا كالطوق حول أعناقهم، يتمنون زواله!! نعم نغار... لكن لا ينبغي أن نمنعهم حقاً منحهم الله -تعالى- إياه، بل نرضى ونسلم لقضاه!! ونسأل الله -تعالى- أن لا يجعلنا ممن قال فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٨٥-٨٦].

إن المحبـة لا تـأتي بفـرض الـذات، ولا بالسيطرة وحـب التملـك، ولا يسـعى إليهـا بالمعـاصي، والظلـم، والشـعوذة، والتعـاليق والحجب، بل إن ذلك كله من أسباب زوالها.

قال رسول الله ﷺ: «ما تواد اثنان في الله فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما»[1].

أخي في الله ... أختاه: إنَ فاقد الشيء لا يعطيه، فكونوا على ثقة بأنفسكم، وامنحوا الكثير من المحبة والثقة لمن حولكم، تجدونهم أكثر لكم حباً، وأشد بكم تمسكا، كونوا عوناً لهم على طاعة الله، وتقوى الله، ومحبة الله وما والاه، وادعوا الله -تعالى- أن يجمعكم بهم مع المتحابين في جلاله، وأن يظلكم بظله يوم لا ظل إلا ظله، وتذكروا قوله -تعالى-: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]، وقوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٢-٣٧].

وعليكم بالغيرة المحمودة، إذ أنها خاصية النفوس الشريفة الزكية، التي زينت بتقوى الله -تعالى-، والرضى بقضاه، وهذبت بالأخلاق الكريمة، ونقيت من الأخلاق الذميمة، وتوقفت عند حدود الله ابتغاء مرضاة الله سبحانه، «توحيداً واتباعاً».

إن الغيرة على الأعراض في الجاهلية كانت تعدّ من مكارم الأخلاق، نشبت بسببها حروب، وغزوات، ووئدت بنات، غيرة عليهن! خشية وقوعهن بالفاحشة إن كبرن، وما قد يُلْحِقن بأهلهنّ من عار!!

وبعد أن منَ الله علينا بالإسلام حفظ الحقوق، وحرّم وأد البنات، حرّم قتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وشرع الجهاد بشروطه؛ لتصان النفس والدين، ويصان العرض والأرض، ومن قتل دون ذلك نال الشهادة، قال رسول الله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»[2].

فما بال المسلمين في أيامنا؟ إنهم في جاهلية جهلاء، غارت الغيرة من نفوسهم، وذهب الحياء، فذهب ماء الوجوه وبهاؤها -إلا ما رحم ربي-.

من النساء من تغار من الكافرات والمتبرجات، فتقلدهن تقليداً أعمى، في اللباس، والتسريحة، والمشية، والكلام، والسلوك، والأخلاق، فكثر التبرج

(١) «صحيح الجامع» (٥٦٠٣).

(٢) «صحيح الجامع» (٦٤٤٥).

والاختلاط، والسفور، والفسق، والفجور، نسأل الله العافية.

وللأسف لحق بهن أشباه الرجال يحثون المسير نحو متاع دنيوي زائل، ويضعون أمر الدين جانباً، يجاهرون بالمعاصي، أغان ساقطة، وأفلام هابطة، وملابس خليعة، ومناظر ومسامع يندى لها الجبين،

ثم ... يحمد الله أصحابها على توفيقه!!

الله أكبر!! لقد زين لهم الشيطان سوء أعمالهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

يشقى أحدهم بحياته، ويشقي من حوله!! يغضب، يثور، يضرب، وقد يطلق لأتفه الأسباب، ولا يحرك ساكناً إذا شتم أو سمع من يشتم الذات الإلهية، أو الدين!! وآخر لا يحرك ساكناً إذا رأى أخته، أو زوجته، أو ابنته، متبرجة كاسية عارية، في المجالس المختلطة، أو أماكن العمل، واللهو، والأسواق، وقد يدفعهن إلى الخبث هو بنفسه، ليكنّ سلعاً رخيصةً لتحقيق متاع زائل!! يتنحى جانباً ليدع محارمه، يخلون مع غير ذي محرم منهن، أو يسافرن بلا محرم، ولا يرى في ذلك بأساً!!

فهل يأمن عليهن من شياطين الإنس والجن؟؟ أم على قلوب أقفالها؟؟ والرسول ﷺ يقول: «ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»، وفي رواية: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم»، فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال «انطلق فحج مع امرأتك»[1].

لقد قدَم رسول الله ﷺ سفر الصحابي مع امرأته ليكون محرماً لها في سفرها إلى الحج، على الجهاد في سبيل الله!! ألا ليت قومي يعتبرون!

قال شيخنا الألباني -رحمه الله، وجعل الفردوس الأعلى مأواه-: «ومن عجائب الورع البارد أن بعضهم يأذن لابنته بالخروج إلى الشارع سافرة بغير حجاب شرعي، ثمَ يأبى أن يراها الخاطب في دارها وبين أهلها بثياب الشارع! وفي مقابل هؤلاء بعض الآباء المستهترين الذين لا يغارون على بناتهم -تقليداً منهم لأسيادهم- الأوروبيين-، فيسمحون للمصور أن يصوَرهن وهنّ سافرات سفوراً غير مشروع، والمصوَر رجل أجنبي عنهم، وقد يكون كافراً، ثم يقدّمن صورهن إلى بعض الشبان، بزعم أنهم يريدون خطبتهن، ثم ينتهي الأمر على غير خطبة، وتظل صور

(١) متفق عليه.

بناتهم معهم ليتغزلوا بها، وليطفئوا حرارة الشباب بالنظر إليها ألا فتعساً للآباء الذين لا يغارون، وإنا لله وإنا إليه راجعون»[1].

لقد ذم رسول الله ﷺ الديوث الذي تبلّدت أحاسيسه، يرى الخبث في أهل بيته فيقرّه، ولا يغار عليهم، وتوعّده الوعيد الشديد بقوله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا، الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر»[2]، وفي رواية: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، ورجلة النساء»[3].

احترام غيرة الآخرين:

إنه لخلق جميل علمنا إياه رسولنا ﷺ، ألا وهو احترام مشاعر الآخرين باحترام غيرتهم، ومنه احترام غيرة الصحابة -رضي الله عنهم-، ولنا فيهم أسوة حسنة، قال ﷺ: «رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفاً من أمامي، فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا بلال، ورأيت قصراً أبيض بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك»، فقال عمر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! أوعليك أغار»[4].

وكذلك احترام أسماء بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنها وعن أبيها- لغيرة زوجها الزبير -رضي الله عنه-، فقد قالت: «جئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار فدعاني، ثمّ قال: إخ إخ، ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أنّي قد استحييت فمضى»[5].

إنه الحياء... شعبة من الإيمان، إنه الحياء.... لا يأت إلا بخير، ذكرت غيرة زوجها -رضي الله عنه-، فحفظته في الغيب والشهادة -رضي الله عنها وأرضاها-.

اللهم ثبت الإيمان في قلوبنا، وفقهنا في ديننا، وردنا إليك رداً جميلاً.

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٠٨-٢٠٩).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن عمار بن ياسر -رضي الله عنه-، انظر «صحيح الجامع» (٣٠٦٢).

(٣) صحيح: رواه الحاكم، والبيهقي عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، انظر «صحيح الجامع» (٣٠٦٣).

(٤) «السلسلة الصحيحة» (١٤٠٥).

(٥) متفق عليه.

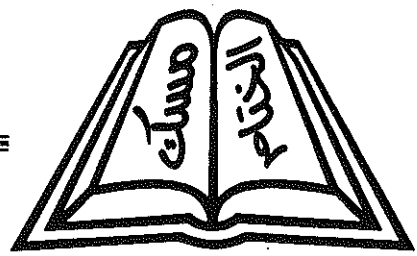

• بقلم: أسرة التحرير

. . . بين المُخالفين والخاذِلين!

قد صَحَّ في بعض طرق حديث الطائفة المنصورةِ لفظٌ عن النبيِّ ﷺ فيه وصفُهم: «. . . لا يضرُّهم مَن خَالَفَهم، ولا مَن خَذَلَهم حتَّى يأتيَ اللهُ بأمره»:

وهذا منه ﷺ رفعٌ لشأنهم، وإعلاءٌ لِقَدْرِهم، وأنَّ ثباتَهم على منهجهم مِنَّةٌ مِن ربِّهم، وتسديدٌ مِن مولاهم وخالقِهم -جلَّ وعلا-.

ذلكم أنَّ المخالفَ ينطلقُ في مخالفتِهِ مِن انحرافِ منهجٍ، أو خَلَلِ تصوُّرٍ؛ ممَّا يُودي بهِ إلى إعلانِ المُخالفة وإظهار المُناكَفة!!

وَجُلُّ المخالفين -أولئك- وللأسف الشديد- لا يُبدون حُجَجاً، ولا يُظهِرون أدلّةً، ولا يُبرزون براهين . . .

وإنّما تراهم -طُرَّاً- كثيري كلامٍ بغير صواب، مُموِّهين في الخِطاب، مُجَرِّحين بغير آداب!!!

وأمَّا الخاذِلون؛ فصِنفان:

الأوّل: مَن استصعب بعضَ مراحل الطريق لموقفٍ أو مواقفَ، فرآها محفوفةً بشيءٍ من الصِّعاب أو المخاوف، مَحوطةً بما قد يَعْسُرُ الصَّبرُ عليه؛ فآثَرَ النأْيَ بنفسهِ -رِضاً بالسَّلامة-.

والثاني: مَن تنكّر لتاريخِهِ، وأنكر نَفْسَه، وانقلب على عقيدتِهِ ومنهجِهِ؛ فَغَدَا مُنْكَرُ الأمسِ -عنده- معروفَ اليوم! وآلَ ضلالُ البارحةِ -فيه- هدىَ الليلةِ!!

أمّا الصِّنْفُ الأول: فلا يزالُ الأملُ معقوداً على مثلِهِ أنْ يَرجعَ إلى الطريق -ولو استطالَه-، وأن يستسهلَ الصعبَ -مُحْيِياً آمالَه-؛ فالخُلْفُ معه دائرتُهُ ضيِّقةٌ، وعودتُهُ عن موقفِهِ أَمْرٌ وقتيٌّ قد يرتبطُ بموقفٍ مُضادٍّ يُسَرِّع رجوعَه، ويُكفْكِف دموعَه . . .

أمّا ذيّاك الصنفُ الثاني: فهو متردِّدٌ لعوب، ومخادعٌ كَذُوب؛ تَقلُّبُهُ يُشَكِّكُ -أصلاً- بتاريخِهِ، وتلوُّنُهُ يجعلُ الناظرَ غيرَ ذي ثقةٍ بدينِهِ أو يقينِهِ:

فالمبتدعُ صار عنده سُنِّيّاً . .

والصوفيُّ أضحى سَلَفِيّاً . .

والحِزبيُّ أمسى داعياً نقيّاً . . .

والعكسُ بالعكسِ -كذلك- عياذاً بالله-:

فالأبناءُ صاروا أعداءاً . .

وطلبةُ العلمِ أضْحَوْا جُهّالاً . .

والمُقَرَّبون أمسَوْا خُصوماً وأنداداً . . .

. . . فهل يَضُرُّ هذا الصِّنفُ إلا نفسَه؟!

وهل يأمنُهُ مَن لاذ به وَلَجَأَ إليه -بعد حَوْره-؟!

وهل يُتَكَثَّرُ بمثلِهِ؟!

﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ .

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-

«وقد ضَمِنَ النّبي ﷺ: أنّه لا تَزال طائفة مِن أُمَّته على الحقّ لا يضرهم مَن خَذَلَهم ولا مَن خالفهم حتى تقوم الساعة، وهؤلاء هم أولو العلم والمعرفة بما بَعث اللهُ به رسولَه؛ فإنّهم على بصيرة وبيّنة، بخلاف الأعمى الذي قد شهد على نفسه بأنّه ليس مِن أُولي العِلم والبصائر(!)».

[«إعلام الموقعين» (٤/ ١٧)]

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز الإمام الألباني
للدراسات المنهجية والبحوث العلمية

قسيمة اشتراك

الاسم:.....

البلد:..... المدينة:..... الحي:.....الشارع:.....

رقم المنزل:..... الهاتف:..... الفاكس:.....

العنوان البريدي: .....

☐ اقتراحات أخرى: .....

.....

بالبريد المستعجل يرسل إلى المشترك كل من:

١- مجلة الأصالة ٢ - الإصدارات العلمية للمركز ٣- الإصدارات السمعية للمركز

قيمة الاشتراك السنوي:

- الأردن (٤٠) دينار - دول الخليج (١٥٠) دولار
- دول أوروبا (١٥٠) دولار - أمريكا (٢٠٠) دولار.

ترسل الحوالة إلى الحساب التالي مع إشعار إلى مركز الإمام الألباني:

- البنك الإسلامي الأردني - فرع طارق- الأردن.

رقم الحساب: ١١٢٥٩ - اسم الحساب: محمد موسى نصر وسليم عيد الهلالي.

-Jordan Islamic Bank for Finance and Investment

Tareq/Tabarbour Branch , Amman ١١٩٤٧ Jordan

Bank Code : JIBAJOAMXXX

Account Number : ١١٢٥٩

Account Name : Salim Eid Mohammad Hilali & Moh 'D Mousa Hussein Naser

تلفاكس ـ مركز الإمام الألباني:٥٠٥٤٠٥٣ (٠٠٩٦٢ ٦).

Telefax : ٠٠٩٦٢٦٥٠٥٤٠٥٣ - www.albani-center.com - E-mail: albani١٤٢١@hotmail.com